

التحول الديني عند قبائل الإيبو بنيجيريا

دراسة أنثروبولوجية

الدكتور

محمد عبدالوهاب عبدالوالي

التحول الديني عند قبائل الإيبو بنيجيريا

دراسة أنثروبولوجية

تأليف

الدكتور محمد عبدالوهاب عبدالوالي

الناشر

أسرار الإسبوع

التحول الديني عند قبائل الإيبو بنيجيريا

دراسة أنثروبولوجية

تأليف

الدكتور محمد عبدالوهاب عبدالوالي

الطبعة الأولي ٢٠١٦م

رقم الإيداع : ٢٠١٦/٢٥٣٤٧

الناشر

أسرار الإسبوع

١٣ ش القومية – الزقازيق – الشرقية – جمهورية مصر العربية

٠٥٥٢٣٧٩٦٧٧

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى أبنائي

أحمد & شروق



المحتويات

المقدمة

مما لا شك فيه أن الدين من الموضوعات التي حازت اهتمام الكثيرين من العلماء والباحثين في مختلف فروع العلم والمعرفة، في محاولة منهم للتعرف علي طبيعة هذه الظاهرة وأهميتها في حياة الشعوب، مما كان له جليل الأثر علي كم وكيف هذه الدراسات.

ولقد بدأ الاهتمام بدراسة الدين من قبل الأنثروبولوجيين والاجتماعيين متأخرا نسبيا وذلك في القرن الثامن عشر والتاسع عشر خاصة مع احتكاك الأوربيين بشعوب أخري مختلفة وفي ظل ازدياد الرحلات والكشوف الجغرافية وبداية الاستعمار بعد ذلك.

ورغم الكم الهائل من النظريات التي تناولت الدين حتي الأن، فلا توجد نظرية أنثروبولوجية واحدة للدين متفق عليها لدرجة أن البعض يشكك في إمكانية التوصل إلي مثل هذه النظرية

ويتميز الدين بالتلاصق والتشابك مع الإطار الثقافي الكلي لأي مجتمع من المجتمعات شأنه في ذلك شأن الجوانب الثقافية الأخري، لأن الدين يفرض مجموعة من الأخلاقيات ويضع مجموعة من القيم والمعايير السلوكية،وينظم العلاقات الاجتماعية لمعتنقيه، فيعطي معتنقيه قدرا كبيرا من الذاتية والخصوصية والتي تعد قاسما أساسيا في تشكيل الهوية الإثنية لأي جماعة بشرية.

و يأتي أختيار موضوع هذه الدراسة لبعض الاسباب والتي تتمثل في:

١- الاهتمام البالغ من قبل بعض المؤسسات والحكومات بعملية التبشير الديني ونشر هذا الدين أو ذاك في كل أرجاء الأرض، مما كان دافعا للتعرف علي ثمرة هذا العمل التبشيري.

٢- نظرة العلماء والباحثين للدين علي أنه يعد من أهم مقومات تكوين الهوية الإثنية لدي أي جماعة من الجماعات خاصة البدائية، كان دافعا للتعرف علي طبيعة هذه

العلاقة في ظل تعدد الأديان داخل المجتمع الواحد علي اعتبار أن كل دين يفرض مجموعة من القيم والمعايير الاخلاقية والقواعد الأساسية للسلوك وأسس التعامل مع الأخر ...الخ، مما قد يحدث تعارض واختلاف في الاطار الأيدولوجي والطبيعة الوجدانية بين معتنقي هذا الدين أو ذاك، فتنجم الصراعات والانقسامات داخل الجماعة الواحدة ليضاف إلي قوائم الصراعات في القارة الأفريقية.

٣- ما يشاع عن النجاح الكبير الذي حققته المسيحية في أراضي الإيبو في الكثير من الكتابات، والتي منها، إحصاء ذكر في كتاب Historical Handbook سنة ١٩٩٠م بأن أكثر من ٩٠٪ من سكان ولاية أومو مسيحيون وهي من إحدي ولايات الإيبو.

٤- أهمية مجتمع الإيبو والذي يمثل ثاني أكبر جماعة إثنية في نيجيريا بعد الهوسا، ويشغل الجزء الجنوبي الشرقي الذي ظهر فيه حوالي ثلثا البترول النيجيري، مما كان له جليل الاثر في نشوب الحرب الأهلية في نيجيريا بين عامي)١٩٦٧-١٩٧٠(بقيادة «أوجوكو» بغرض الانفصال عن جمهورية نيجيريا والإعلان عن جمهورية بيافرا. وانتهي الصراع بنجاح قوات الجيش الفيدرالي في السيطرة علي الاقليم.

يتمثل مجتمع الدراسة في قبائل الإيبو التي تقع في جنوب شرق نيجيريا بين دائرتي عرض ٥-٧ (شمال خط الاستواء) ... وخطي طول ٦-٨ (شرق خط جرينيتش).

ويحدها من الشرق قبيلة الإيبيبو Ibibio ومن الشمال الإيجالا Igalla وإدوما Idoma وأوجوجا Ogoja ويحدها من الجنوب إجو Ijo ومن الغرب إيدو Edo.

ويشغل مجتمع الإيبو جزء من إقليم زراعي خصب آهل بالسكان ذا كثافة سكانية عالية تصل ما بين ٧٥٠ إلي ١٠٠٠ نسمة/ كم٢ والتي تعتبر من أعلي معدلات الكثافة السكانية في نيجيريا كلها علي الإطلاق والتي أدت إلي نزوح الكثيرين منهم للعمل والارتزاق في الأقاليم الأخري. خاصة وانهم يتسمون بالطموح والجلد وحب العمل وجمع المال لدرجة أن البعض يسمونهم «يهود أفريقيا» نسبة إلي الشبه بينهم وبين العناصر اليهودية في هذا المجال.

والإيبو من الزنوج ويعيشون علي الزراعة « اليام والكسافا للغذاء وزيت النخيل كمحصول تجاري» ويسكنون قري عديدة داخل الغابات والأحراش.

وعلي الرغم من أن حرفتي الزراعة والرعي حرفتان متلازمتان في معظم الأحيان إلا وأن الأمر يختلف عند شعب الإيبو للتأثير السيئ للطبيعة المناخية والنباتية من ارتفاع درجات الحرارة وارتفاع معدل الرطوبة وانتشار ذبابة تسي تسي وغيرها من العوامل التي أدت إلي تناقص أعداد الماشية والحيوانات بشكل عام، ولذا يعتمد غذاء الإيبو علي الحاصلات الزراعية بشكل أساسي .

ومجتمع الإيبو من المجتمعات التي ترجع في نسبها إلي الانحدار في خط الذكور ولديه قواعد للزواج الأكسوجامي ويفضل الزواج البوليجاني.
ومجتمع الإيبو من المجتمعات التي لا يسودها حكومة مركزية وتعد القرية هي الوحدة السياسية الأولية في هذا المجتمع.

وتعتنق قبائل الإيبو الدين التقليدي الذي يقوم علي الاعتقاد في إله أعلي يسمي شوكوا بالإضافة لبعض الآلهة الطبيعية الأخري، ولديه اعتقاد في وجود أرواح منها الخير ومنها الشرير، كما تحتل الأسلاف عندهم مكانة كبيرة وهامة.

ويرتبط بهذه المنظومة العقائدية منظومة طقسية أخري تتجسد في العديد من المظاهر كتقديم القرابين والصلوات والابتهالات.. لكن تحول الكثيرون من أبناء هذه القبيلة عن الدين التقليدي واعتنقوا المسيحية خاصة في ظل الاستعمار البريطاني لأراضيهم سنة١٩٠٠م.

ويأتي هذا الكتاب ليتناول عملية التحول الديني لدي قبائل الإيبو من الدين التقليدي إلي المسيحية ، وذلك من خلال ثمانية فصول يتناول الفصل الأول فيها مفهوم الدين ووظيفتة وأشكاله .

ويتناول الفصل الثاني قبائل الإيبو ذاتها ، والفصل الثالث من الكتاب يتناول الدين التقليدي بشكل مفصل داخل قبائل الإيبو .ثم تأتي الفصول من الفصل الرابع وحتي الثامن لتوضح التحول الديني عند قبائل الإيبو بقدر من التفصيل فيأتي الفصل الرابع بعنوان المسيحية وطبيعة الكنيسة في أراضي الإيبو والفصل الخامس يوضح البعثات التبشيرية التي ذهبت إلي أراضي الإيبو . والفصل السادس يتناول آليات نشر المسيحية في الإيبو .

ويأتي الفصل السابع ليوضح السمات المميزة لحركة التبشير الديني في أراضي الإيبو والفصل الثامن يعطي قدر من التفصيل علي طبيعة التحول الديني ذاتها وإلي أي قدر حدث تحول ديني من الدين التقليدي إلي المسيحية في أراضي الإيبو.

الفصل الأول

مفهوم الدين - وظيفته – أشكاله

❖ مفهوم الدين

حاز الدين علي اهتمام الكثيرين من العلماء والباحثين في مختلف فروع العلم والمعرفة، في محاولة منهم للتعرف علي ماهية وأهمية وأشكال هذه الظاهرة في المجتمعات الإنسانية. مما كان له أثره البالغ علي تلك الدراسات من حيث الكم والكيف.

وكان لاختلاف وجهات النظر واختلاف العلوم والمداخل التي تناولت موضوع الدين انعكاسه علي تلك الدراسات واتسامها في معظم الأحيان بالاختلاف وعدم الاتفاق خاصة في المفاهيم الأساسية مثل مفهوم الدين، الذي أثار من حيث معناه خلافات عده ووجهات نظر متباينة ممن تناولوه بالدراسة والتحليل، لدرجة أن البعض أكد علي صعوبة الوصول إلي تعريف محدد ومعقول لهذا المفهوم.

وذلك هو ما أكده «جميس لوبا» الذي أحصي ثمانية وأربعين تعريفاً علي الأقل للدين، كلاً منهم يؤكد معني معين ويبرز أهمية سمة دون أخري من سمات وملامح الدين.

وهذا هو ما دفع البعض أمثال «روبرت الويد» Ellwaad -Robert إلي القول بأنه يعد من الأفضل استبدال السؤال عن «ما هو الدين ؟» بسؤال آخر هو «ما هي مجالات الخبرة الإنسانية التي يمكن أن نطلق عليها أنها دينية؟» معللاً ذلك بصعوبة الوصول إلي تعريف محدد وشامل للدين، ولأن ما يمكن أن نعتبره ديناً غالباً ما يكون متداخلاً مع جوانب أخري.

غير أن وجهة نظر « الويد » في ضرورة الاهتمام بالبحث في مجالات الخبرة الإنسانية والتي يمكن أن يطلق عليها أنها دينية مع عدم الانشغال بتعريف الدين يؤدي إلي عدم تحديد معالم الظاهرة الدينية، مما قد يؤدي إلي إضفاء صفة «الدين» علي بعض الخبرات والممارسات الحياتية التي لا يحق وصفها بأنها دينية، وبالتالي عدم الاتفاق علي ما هو ديني وما هو غير ذلك مما قد يكون أصعب من صعوبة تحديد تعريف الدين.

وهناك من يرجع صعوبة تعريف الدين إلي وجود تعريفات فضفاضة لهذا المفهوم، فإذا قيل مثلا أن الدين هو الاعتقاد في كائن أعلي أو كائنات عليا ، فإن ذلك يستبعد الديانات الوضعية كالبوذية والتي لا تؤمن بوجود الله ، وإذا قيل أن الدين عبارة عن نسق من المعتقدات يعيش بها الانسان ولا يألوا جهدا في سبيل التضحية من أجلها، فإن هذا التعريف يمكن أن يشمل وينطبق علي الماركسية باعتبارها نسق من الأفكار تؤمن به وتضحي في سبيله طبقة معينة من الناس، ورغم ذلك لا يوجد ماركسي واحد يقبل أن يطلق علي ما يؤمن به صفة الدين (١)

وفي الكتابات العربية يشير **«محمد عبده دراز»** إلي الغموض والخلط الذي يشوب معظم المعاجم العربية في استخدام لفظ الدين . فقد يقال علي الدين ما يدان به أو يقال إن الدين هو الملة وإن الملة هي الدين، فالدين يستخدم في بعض الكتابات العربية بمعاني متباعدة ومتناقضة. فالدين هو العز وهو الذل وهو الإحسان وهو القهر وهو السلطان وهو الخضوع وهو الطاعة، وهو اسم لكل ما يعتقد أو يتعبد به.
وعلي الرغم من كل هذه الاختلافات يؤكد «عبده دراز» علي إمكانية جمع كل هذه المعاني وردها كلها إلي ثلاثة معانٍ فقط متلازمة مع الدين هي.

١- استخدام كلمة دين علي أنه فعل متعد بنفسه « دانه يدينه » فإذا قلنا « دانه دينا » عنينا بذلك أنه ملكه وحكمه وساسه وقهره ودبره وحاسبه ...الخ،
٢- استخدام كلمة دين علي أنه فعل متعد باللام « دان له » بمعني أطاعه وخضع له. فالدين هنا يعني الخضوع والطاعة والعبادة.٣- استخدام كلمة دين علي أنه فعل متعد بالباء « دان به » فإذا قلنا دان بالشئ كان ذلك معناه أنه اتخذه دينا ومذهبا (٢)

ويتضح من هذا صعوبة التوصل لتعريف واحد يستطيع أن يجمع في طياته كل معاني وسمات وخصائص الدين، وذلك لتعدد المنطلقات واختلاف وجهات النظر في دراسة هذه الظاهرة والذي نجم عنه كم هائل من التعريفات الخاصة بالدين.
ورغم كل هذا التنوع والاختلاف تشير سامية الخشاب إلي أن هناك شبه إجماع من جانب العلماء علي إمكانية جمع تعريفات الدين وتقسيمها إلي ثلاثة أقسام رئيسية في محاولة منهم لتمييز ملامح هذه الظاهرة وتحديد خصائصها.

أولا : التعريف الجوهرى للدين:

يتمثل التعريف الجوهري للدين في تلك التعريفات التي تهتم بالمكونات والعناصر التي تعتبر جوهرية في الدين.
ولقد بذلت محاولات عدة للكشف عن هذه المكونات والعناصر في كل الأديان والتي أشار لها البعض بأنها تتمثل في التضاد بين المقدس والمحرم، أو الاعتقاد في الآلهة أو إله واحد. وذلك بغرض الوصول إلي جوهر الدين.
وواجهت هذه المحاولات العديد من الصعوبات، إما بسبب تعدد الديانات الانسانية مما يؤدي إلي وجود أشكال متضادة للعقائد الدينية، أو لأن العناصر التي قد تكون جوهرية في بعض الديانات قد تكون ثانوية في ديانات أخري.
ومن ثم أصبح تحديد جوهر الدين ليس بالأمر اليسير وأصبح موضع اختلاف بين كثير من العلماء، ولهذا كثرت المداخل في تحديدها لجوهر الدين، وأصبح هناك من يري الاعتقاد هو جوهر الدين وهناك من يعتبرالايمان هو الذي يمثل هذا الجوهر، في حين يري آخرون أن تحديد المقدس والعلماني هو تحديد لجوهر الدين.
وفيما يلي توضيحاً لهذه المداخل:

أ- الاعتقاد كمدخل لتحديد جوهر الدين:

يعد « إدوارد تايلور» من أبرز العلماء الذين أعتمدوا علي الاعتقاد كمدخل لتحديد جوهر الدين ويتضح هذا في تعريفه للدين بأنه « الاعتقاد في كائنات روحية»

ولقد وجه النقد لتعريف تايلور علي أساس أنه ليس من الواضح دائما ما إذا كان يعتقد أن ظاهرة معينة تعد روحية أو طبيعية. كما يختلف الحكم علي الظاهرة بين الدارس لهذه الظاهرة والمعتنق لها (٣)
ولا يعد ذلك تقليلا لأهمية تعريف « تايلور» للدين وإبرازه للجانب الاعتقادي فيه، لكن الاقتصار علي الاعتقاد في تحديد مفهوم الدين يعد غير مقبول خاصة عند النظر في أديان المجتمعات التقليدية والتي تمارس الدين في كثير من الاحيان دون وعي كافي بطبيعة الجوانب الاعتقادية أو الغرض منها أو فلسفتها في هذه الأديان.
كما أن الروحانية تعتبر أقل تعريف للدين، حيث إن الاعتقاد في الكائنات الروحية أو الأرواح جزء من جميع المعتقدات الدينية سماوية كانت أم غير سماوية.

ولقد أثار مفهوم الاعتقاد كجوهر للدين جدلا كبيرا بين الكثيرين ممن اهتموا بدراسة الدين، وذلك لأن القول بأن الاعتقاد هو جوهر الدين أدي بكثير من

الأنثروبولوچيين إلي افتقاد الوصول لحقيقة جوهر الديانات غير الغربية مثل الديانة البوذية علي سبيل المثال والتي لا يوجد بها أي مفهوم عن الكائنات فوق الإنسانية.
وتشير «د.ماريت» إلي أن الدين في كثير من الثقافات حركة أكثر منه فكرا، أي أن الطقوس والعواطف تحتل المركز الأول في الدين ثم يليها الاعتقاد (٤)

لكن علي الرغم من أهمية الطقوس والعواطف داخل كل دين من الأديان، فمن غير المستطاع التسليم بأن هذه الطقوس سابقة عن الاعتقاد سواء في الوجود والأهمية لأن الطقوس تتكون وتتجه نحو ما يعتقد فيه سواء كان المعتقد فيه إله أم روح أم أسلاف ... ألخ

ب- الايمان كمدخل لتحديد جوهر الدين:

يعد الايمان عنصرا أساسيا من عناصر الظاهرة الدينية، ويعتمد هذا العنصر علي الجوانب الوجدانية أكثر منه علي العقل، حيث توجد بعض الامور داخل كل ديانة لا يستطيع إدراكها أو قبولها بالعقل ويكون للقلب الدور الجوهري فيها.
ومن بين الذين صاغوا تعريف للدين وفق هذا المدخل العالم الانجليزي «سبنسر» الذي عرف الديــن بأنــه «الايمــان بالقــدرة اللانهائية أي التي لا يمكن تصور نهايتها الزمانية أو المكانية».
غير أن الاعتماد علي الإيمان كمدخل لتحديد جوهر الدين غير كافٍ بذاته، وذلك لكون الايمان في حد ذاته يعد مرحلة من مراحل التجربة الدينية لايشعر بها كل الأفراد المعتنقين لدين ما.

جـ - المقدس والعلماني كمدخل للتحديد جوهر الدين:

ظهر هذا المدخل عند «إميل دروكايم» الذي يري أن تقسيم الحياة إلي مقدس وعلماني، يسمح بتحديد الدين في أي ثقافة، فالناس في جميع أنحاء العالم عند «دوركايم» منساقون في تغيرات سيكولوجية عندما يرتبطون بأشياء مقدسة، أو يندمجون في طقوس دينية، وهذا التغير السيكولوجي يشتمل علي الإحساس بالرهبة من الشئ المقدس وهو إحساس مختلف عن أي أحساس لدي الفرد خاصة عندما يتداخل مع أي شئ في الحياة اليومية.
وعلي الرغم من أهمية هذا المدخل في تحديد جوهر الدين، لكنه أوقع مستخدميه في حرج النظرة المزدوجة للعالم، بمعني أن الحياة أصبح لها بعد ديني وأخر غير ديني ومن جانب آخر يعد هذا المدخل بمثابة ميكانيزم للتمييز بين ما هو ديني وغيره

من مكونات الحياة الأخري كالسحر والعلم ...الخ أكثر منه تعريفا.

ثانيا ـ التعريف الوظيفي للدين:

يرتكز التعريف الوظيفي للدين علي توضيح ما يقوم به الدين من وظائف وأدوار لمعتنقيه، غير مهتم إلي حد ما بالجوانب الجوهرية من اعتقاد وإيمان ...الخ، علي اعتبار أن الدين ظاهرة لازمة للحياة الانسانية، وفكرة التدين فكرة قديمة لم تخل منها جماعة من الجماعات الإنسانية في القديم أوالحديث رغم اختلاف الشعوب في درجات التحضر.

ويؤكد « ميلتون ينجر» علي ضرورة التركيز في تعريف الدين علي ما يقوم به الدين من أدوار والتركيز علي ماذا يفعل الدين، أي علي الجانب الوظيفي للدين، ويقول أن الدين هو «نسق من المعتقدات والممارسات التي بواسطتها يواجه أعضاء جماعة ما المشكلات المطلقة للحياة الانسانية (٥)

ورغم توضيح « ينجر» لمكونات الدين من معتقدات وممارسات في تعريفه للدين، لكنه قصر وظيفة الدين علي أنها أداة يحقق بها الأفراد قدرا من التكيف مع مشكلاتهم الحياتية متجاهلا في ذلك العلاقة التبادلية بين الخالق والمخلوق، ومن جهة أخري يتسم هذا التعريف بقدر كبير من الشمولية فهو مفهوم لا يميز بين جماعة المؤمنين وغير المؤمنين.

ومن التعريفات ذات الطابع الوظيفي للدين أيضا، تعريف «إيرك فروم» الذي عرف الدين بأنه «أي مذهب للفكر والعمل تشترك فيه جماعة ما ويعطي للفرد إطارا للتوجيه وموضوعا للعبادة(٦)

ويتمثل الاتجاه الوظيفي في تعريف « إريك فروم » في أنه جعل من الدين إطارا لتوجيه الأفراد فجعل من الدين معياراً ومقياساً للسلوك، كما جعل من الدين موضوعا للعبادة، ورغم أهمية تعريف « فروم » للدين لكنه يعد تعريفاً فضفاضاً لأنه لم يميز بين الدين وغيره من موجهات السلوك الأخري كالعادات والتقاليد والقانون ...الخ، كما أنه لم يوضح لمن تتجه هذه العبادة التي جعل منها موضوعا للدين.

ثالثا - التعريـف الرمــزى للديـــن:

التعريف الرمزي من بين التعريفات التي تناولت مفهوم الدين، ويعتمد هذا النمط من التعريفات علي ما يحتويه الدين من رموز يمكن ملاحظتها، وذلك علي افتراض أن كل الأديان تحوي بداخلها مجموعة من الرموز المميزة لها.

والرمز قد يكون إيماءة أو حركة أو صوتا أو صورة أو كائنا أو شيئا، فالنظام الرمزي متسع لدرجة كبيرة، لدرجة أنه يدخل تقريبا في مختلف أوجه ثقافة المجتمع. فالرموز تعبيرات تدل علي الأشياء والأشخاص والكائنات والمعاني، وتشكل في مجموعها نظام تعبير واتصال جماعي مشترك، ويعتبر هذا النظام بأشكاله من أهم الأوجه الثقافية والاجتماعية، بل يعتبر شرطا مسبقا وضروريا لقيام المجتمعات والثقافات (٧)

وليست كل الرموز دينية فهناك رموز مثل التصافح والاشارة باليد ...الخ، تعتبر مجرد سلوكيات رمزية. أما الرموز الدينية فقد تشمل أشياء مثل المصحف والصليب ونجمة داود أو سلوك كالسجود والركوع واللمس والتقبيل ...الخ.

ويعد تعريف « جيرتـز- G.Geertz » من التعريفات الهامة في هذا السياق حيث اعتبر الرموز الدينية شكل من أشكال المقدس. وعرف الدين بأنه:

١- نسق من الرموز المتفاعلة.

٢- لخلق أمزجة ودوافع قوية ونافذة ودائمة لمعتنقيه.

٣- من خلال تكوين تصورات عن نظام الوجود.

٤- وإلباس هذه التصورات قدرا من الواقعية.

٥- بحيث تبدو هذه الامزجة وتلك الدوافع بأنها حقيقية (٨)

ويضاف لأهمية تعريف جيرتز للدين إسهامه في توجيه الأنظار إلي ضرورة الكشف والتعريف علي جوانب الاختلاف بين الدين كما يجب أن يكون أو كما هو في النص وبين الدين المطبق أي كما هو في الواقع(٩)

ويجدر الإشارة إلي أنه منذ تعريف « تايلور» سنة ١٨٧١ وحتي تعريف «جيرتز» سنة ١٩٦٦ بذلت محاولات كثيرة ومجهودات متعددة من قبل الأنثروبولوجيين وغيرهم لتعريف الدين لكن دون جدوي (١٠)

مما دفع بعض الباحثين إلي الانصراف عن تقديم تعريف محدد للدين مكتفين بوضع بعض المبادئ والسمات المميزة لهذه الظاهرة المعقدة.

وكان من نتاج ذلك أن أحصي العلماء والمهتمون بدراسة الظاهرة الدينية عدد من السمات المشتركة بين الأديان تمثلت في :

١ـ الاعتقاد في كائن أو كائنات خارج نطاق الطبيعة إلي جانب نظام خفي يتفق مع هذا الاعتقاد ويتعارض مع النظام الطبيعي.
٢ـ الاعتقاد بأن الإنسان مقدر له أن يقيم علاقة شخصية مع ذلك الكائن أو تلك الكائنات.
٣ـ وجود طقوس ومعتقدات يظن أن الحقيقة اللاطبيعية تقرها أو تأمر بها بما في ذلك الاعتقاد في حياة قادمة بعد الموت.
٤ـ تقسيم الحياة إلي مقدسة وعلمانية بما يصحبها من أنشطة مترتبة علي هذا التقسيم، مثل وجود أماكن مقدسة أو بيوت للعبادة، وما يصاحب هذا من طقوس ويرتبط به من معتقدات.
٥ـ الاعتقـاد بـأن ما فوق الطبيعة يبلغ مشيئته وأوامره عن طريق رسل من البشر يختارهم هو.
٦ـ محاولة تنظيم الحياة التي تعتبر مرحلة في هذا العالم بحيث تتمشي مع ما يعتقد أنه الحقيقة طبقا لأهداف قوي ما فوق الطبيعة.
٧ـ عادة إدخال من يؤمنون في حظيرة جماعة من المؤمنين وبهذا يصبح في إمكان الدين أن يسري في حياة كل من الفرد والجماعة (١١)

❖ وظيفة الدين

تري النظرية الوظيفية أنه من الأهمية عند البحث عن وظيفة ظاهرة ما، البحث عن علة ظهور هذه الظاهرة، مما يوضح الحاجات التي أدت إلي وجودها وبالتالي يسهل التعرف علي وظائفها.

وإذا نظرنا إلي الظاهرة الدينية « **الدين**» والتي تتسم بقدر ليس يسيرا من التعقيد نجد اختلافاً واضحاً بين العلماء حول أسباب ظهور الدين في حياة المجتمعات الانسانية.

فنجد « إميل دوركايم » يتناول الدين علي أنه ظاهرة اجتماعية واعتبر المجتمع هو المنبع الأصلي للدين، ولذلك رأي أن وظيفة الدين هي ربط الأفراد بمجتمعهم بقوة، وأشار إلــي أن العبادات تربط الأفــراد بعضهم ببعض والــتي منها يستمد الأفراد ثقتهم وقوتهم.

وبذلك يكون المجتمع هو السبب الرئيسي لوجود الدين، وذلك للحفاظ علي تضامنه وتماسكه وفقا للمنظور الدوركايمي الذي أكد أيضاً علي الجانب الجمعي للظاهرة الدينية، ويظهر هذا بوضوح عند تمييزه للدين عن السحر، متجاهلا في هذا التمييز وجود تجربة دينية فردية، والتي توجد في كثيرا من الأديان مثل المسيحية والاسلام ...الخ ، حيث توجد بعض الصلوات والعبادات التي تؤدي بشكل فردي والتي من غير المعقول إخراجها من نطاق الدين وفقا لمنظور «إميل دوركايم» للدين.

ورغم أهمية الطبيعية الاجتماعية التي وضحها «دوركايم»، فإن «مالينوفسكي» وضح طبيعة أخري هي الطبيعة السيكولوجية للدين. لأن الدين عند «مالينوفسكي» نتج عن مآسي الحياة الإنسانية ومن الصراع بين تطلعات الإنسان وواقعه فالدين يجعل الفرد يشعر بأن هناك مصدرا للقوة والأمل التي هي أعظم مما يملكه الانسان من قدرات، كما أنه يمده بالحاجة التي تجعله يتوافق مع القلق والاضطراب الشخصي الذي يسببه له واقع الموت (١٢)

ويتفق « أودي » O'dea مع مالينوفسكي في الضرورة السيكولوجية لوجود الدين حيث يري أودي أن الحاجة إلي الدين تعود إلي ثلاث خصائص رئيسية في الوجود الانساني

أولها : أن الانسان يعيش في ظروف عدم الاطمئنان، فالحوادث الهامة والتي لها تأثير علي أمنه ورفاهيته خارج نطاق تحكمه.

ثانيها : أن قدرة الانسان علي التحكم والتأثير في ظروف حياته يعد أمرا محدودا ويتسم في بعض الأحيان بالعجز powerlessness.

ثالثها : المجتمعات تعيش وسط ظروف الندرة ، هذه الندرة تتطلب توزيعا متنوعا للسلع والقيمة مما قد يترتب عليه قدرا من الحرمان النسبي لبعض أفراد المجتمع.

وعلي هذا الأساس يري « أودي » أن وظيفة الدين في المجتمع تتمثل في مساعدة الناس علي التكيف مع الحقائق الثلاثة السابقة، كما تري تلك النظرية أن الدين يربط الفرد بجماعته، ويساعده في الأزمات، ويدعم الاخلاق، ويمد الفرد بمكونات ذاتيته، كما أن الدين يساعد علي الوحدة والاستقرار في المجتمع،ويعضد الضبط الاجتماعي، ويؤكد القيم والأهداف، ويقدم الوسائل للتغلب علي الانحراف والاغتراب (١٣)

وترتيبا علي ما سبق يمكن القول، أنه إذا كان « دوركايم » ركز علي الجوانب الاجتماعية التي يلعبها الدين في حياة الشعوب وركز « مالينوفسكي » و « أودي» علي الجوانب السيكولوجية لدور الدين في المجتمع فإن دور الدين في المجتمع يتجاوز كلا من الوظيفتين معا لدرجة أنه من غير المستطاع تقديم قائمة عامة بوظائف الدين لأن هذه الوظائف تختلف من مجتمع لأخر ومن دين لأخر، لكن يمكن توضيح بعض الوظائف الأساسية التي من المفترض ألا يخلو منها أي دين في أي مجتمع. وتتمثل هي الوظائف في الآتي:

١- الوظائف التفسيرية :

وهي تلك الوظائف التي تتعلق بتفسير الكون وكشف بعض أسراره والوقوف علي بعض الأمور التي تشغل عقل الانسان، ولا يجد لها إجابة من خلال حواسه المختلفة أو وسائله وأدواته للمعرفة مثل طبيعة الحياة بعد الموت، أو أصل الانسان قبل الميلاد، هذا بالإضافة إلي ضرورة أن يحتوي الدين علي تفسيرات مقنعة لتلك القوي الروحية مثل المقدس وما هو فوق طبيعي....الخ،ويشير « جيرتز» إلي أن الدين بالنسبة إلي الأنثروبولوجيين يكمن في قدرته علي أن يخدم الفرد والجماعة كمصدر لمفاهيم عامة لكنها محددة عن العالم والذات والعلاقة بينهما (١٤)

والدين كما تشير الموسوعة الامريكية هو نمط من الاعتقاد والممارسة، والتي من خلالها يحاول الانسان الاتصال والتقرب إلي ذلك الذي يقطن فوق هذا العالم (١٥)

فالجانب الاعتقادي في الدين له أهمية كبيرة في حياة الإنسان ، لأنه يمثل الإطار المرجعي لتصور الانسان عن ذاته وعن مصيره بعد الموت وعن طبيعة هذا الكون

الذي يحيط به .....الخ، وكلها أمور تشغل عقول الناس، ويسعون بكل جهد للتوصل إلي إجابات لها.

٢- وظائف أخلاقية:

يعد الدين محركاً قويا للسلوك وذلك بما يضعه من أسس وقواعد لهذا السلوك، فاللدين دور أساسي في تعزيز الاتفاق حول طبيعة ومحتوي الالتزامات الاجتماعية، وذلك عن طريق تزويد المجتمع بالقيم التي تشكل إتجاهات أعضاء المجتمع، والتي تعمل بدورها علي توجيه السلوك، فهي تمثل المقاييس المثالية للسلوك، أو ما يسمي بما ينبغي أن يكون« المعايير- norms »

ولذلك حينما يسلك الافراد وفق هذه المعايير، يشعرون دائما أنهم يفعلون ما هو طبيعي، وقبول هذه المعايير يقتضي وجود نظام للثواب والعقاب، ولا شك أنه عندما تكون هذه المعايير مستمده من الاطار الديني فإنها تكون مدعمة بنظام جزائي يتصف بأن له قوة أخري مستمده من عالم الأخرة.

ولما كان الانحراف شيئا متوقعا حدوثه داخل أى مجتمع، مما يستلزم وجود أنظمة وطرق لضبط انحراف الافراد، وكذلك يقوم الدين بإيجاد طرق غالبا ما تكون ذات مسحة شعائرية لمحو الخطيئة وإعادة تكامل الفرد مع الجماعة الاجتماعية.

٣- الوظيفة التكيفية « التوافقية »

يوفر الدين للإنسان وضعا يتسم بالانفتاح، وتجاوز الوضع الراهن، وذلك بالتذكير بآفاق حياة أخري بعد الموت، والذي من شأنه أن يوفر للناس العون والمؤاساة والمصالحة، مما يجعلهم قادرين علي تحمل الخيبة والآسي والحيرة والخوف والحزن، وبالتالي يخلق الدين نوعا من المصالحة بين واقع الانسان في هذه الحياة وما ينبغي أن يكون عليه هذا الواقع.

هذا بالإضافة إلي تقديمه لعلاقة علوية transcendental عبر العبادة والطقوس، وبالتالي يوفر قاعدة وجدانية لإعادة الأمن وتأكيد الهوية ، علي الرغم من التقلبات والتحولات التي تعترض المصير الإنساني، هذه القاعدة هي التي تمنح الفرد إمكانيات التوازن.

كما أن الدين من خلال ما يتضمنه من عقائد وقيم، يمد معتنقيه بوجهات نظر مرجعية في مواجهة الصراع والغموض لأراء ووجهات نظر معتنقيه.

وعلي هذا الأساس، يساعد الدين أفراده ومعتنقيه علي التحكم في حدة الصراع

الذي يكمن داخلهم تجاه بعض المشكلات التي قد يتعرضون لها، مما يشعر أفراده بقدر من الرضا والاستقرار النفسي، ويمنحهم مسحة روحانية واصطفائية تنعكس ايجابياً علي سلوك هؤلاء الافراد وبالتالي علي المجتمع ككل.

٤- وظيفة الانتماء والذاتية

يؤدي الدين مجموعة من الوظائف الانتمائية، إذ أنه يحدد إدراك الناس بطبيعتهم من هم؟ كما أن الدين يمنح الانسان الشعور بالانتماء إلي الماضي البعيد وإلي المستقبل اللامتناهي، فهو من جهة يجذر الانسان ويمنحه أبعادا تاريخية تكاد تكون أزلية فيشعر بأن له إرثا كبيرا وجذورا ضاربة في التاريخ، ويمنحه مجموعة من الآفاق المستقبلية التي توفر له اللامحدودية سواء في طموحاته أو تطلعاته (١٦)

ويشير« دافيد» Davis K إلي أن الدين يعطي الافراد الاحساس بذاتيتهم بارتباطها بماضي محدد ومستقبل غير محدد حيث تعد وظيفة الذاتية identity function من الوظائف الهامة التي يؤديها الدين داخل المجتمع. فالأفراد بقبولهم القيم والعقائد التي ينطوي عليها دينهم وتمسكهم بهذه العقائد والقيم يمنحهم القدرة علي فهم ذاتهم.

كما يساعد الأفراد علي الوعي بأنفسهم كمجتمع أخلاقي يسوده قيم عامة ورسالة في الحياة(١٧)

وتبعا لهذا الانتماء الديني والذاتية الجمعية التي يخلقها الدين في نفوس وعقول معتنقيه، يكون الطريق سانحا لخلق نوع من الولاء يطلق عليه الولاء الديني. وعلي هذا الأساس يشكل الدين أساسا قويا لخلق الهوية الاجتماعية والثقافية .

❖ أشـــكال الديـــن

تتعدد الأديان بتعدد المجتمعات الانسانية. فهناك أديان تؤمن بتعدد الآلهة وأخري تؤمن بالوحدانية وثالثة تؤمن بعدم وجود إله ...الخ، وبالتالي اختلفت الأديان في طبيعتها من دين لأخر مما كان له أثره علي حياة المجتمعات التي تؤمن بهذه الأديان خاصة حينما تتعدد الأديان داخل المجتمع الواحد.

وتختلف أسس تصنيف الأديان فيما بينها تبعا لموقف هذه الأديان من الآلوهية ومن رؤيتها للانسان والكون والحياة والأسس والمبادئ التي تحتويها ...الخ، وسوف يتم تصنيف الأديان هنا وفقا لمعيار الاعتقاد، خاصة الاعتقاد المرتبط بالآلوهية أو القوي العليا المتحكمة في الإنسان، ويمكن تناولها علي النحو التالي

١- الفيتشية - Fetishism

وهي عبادة الأشياء المادية التي تفترض أن لها قوة ذاتية. وقد جاءت هذه الكلمة من كلمة تعني تعويذة أو رقية Charm استخدمها الرحالة البرتغاليون القدامي لوصف مثل هذه الأشياء في غرب إفريقيا.

ففي الأضرحة والمزارات الخاصة بالخصوبة التي توجد في قري منطقة ياكو بنيجيريا تقدم الاعطيات والنذور إلي مجموعة متنوعة من هذه الأشياء. ويصف «إيفانزبريتشارد» حزمات صغيرة من العصي يعتقد المرء أنها قادرة علي إيذاء أعدائه وخصومه، ويقوم حائزوها في قبائل النوير بتقديم العطايا والهبات إليها في شكل أطعمة وتبغ.

٢- الطوطمية -Totemism

الطوطمية تسمية جاءت في الأصل من كلمة مستخدمة لدي هنود أمريكا الشمالية ثم ذاع استخدامها بعد ذلك مؤخرا علي نطاق واسع (١٨)

وتشير الطوطمية إلي الاعتقاد في أن حيوانا أو نباتا ونادرا جمادا، يجسد ويرمز إلي القوة العليا «الإله».

وقد وجد دوركايم أن هناك حوالي ٥٠٠ أسم لطواطم في جنوب شرق استراليا معظمها من الحيوانات وقلة من النبات وأن أربعين فقط كان لأشياء مثل الشمس والقمر والنار والماء والدخان ...الخ،

ويعتقد أعضاء الجماعة أنهم منحدرون من الطوطم نفسه، وبالتالي يرتبط الطوطم بوحدة وهوية الجماعة وتنظيمها وتمسكها. والاعتقاد في أن الطوطم يرمز للإله والجماعة في الوقت ذاته يساوي بين الجماعة والإله. كما تشمل فكرة الطوطم علي مبدأ الثالوث التي ظهرت فيما بعد في المسيحية فهو يرمز إلي الروح والقبيلة والحيوان أو النبات الرمز.

٣- الديانات الثنائية

وتقوم علي افتراض وجود قوتين منفصلتين متصارعتين تمثلان الخير والشر، وقد ظهر هذا النمط من الديانات في بلاد فارس وتمثلها الديانات الفارسية المختلفة كالزرادشتية.

٤- الديانات المرتبطة بالكون

وهي ديانات تقوم علي أساس الاعتقاد بوحدة الكون، وأن للكون روحا وأن الروح الانسانية جزء منها تسعي لإعادة التوحد بالروح الكونية وبالافلات من الجسد المادي، وتمثل هذه الروح المتحررة من شوائب كل ما هو مادي، وقد تمثلت في البوذية، أما الكنفوشية فقد ركزت علي حياة الانسان في الدنيا (١٩)

٥- الديانات التي تتوجه لعبادة الله والألهة

ويمكن تصنيفها إلي :

أ- أديان التسلسل الهرمى للألهة

وهي أديان الشرك القائلة بتسلسل الآلهة تسلسلا تفاضليا، وتوزع بينها المهام والوظائف، وترتبها هرميا من الأدني إلي الأعلي، حتي تصل إلي الإله الأكبر الذي تجعل له السيطرة والهيمنة عليها، مثل ديانة الاغريق التي تؤمن بآلهة متعددة متسلسلة وفوقها جميعا رب الأرباب زيونس (٢٠)

ب- أديان الوحدانية المشوبة

وتقوم علي الاعتقاد بوجود إله واحد ولكن دون إنكار احتمال وجود غيره.

جـ- أديان الوحدانية الآلهية

وتقوم علي الاعتقاد بوجود إله واحد لا شريك له مثل الأديان السماوية الثلاث اليهودية والمسيحية والإسلام.

ويتضح من التصنيف السابق مدي تنوع الاديان الموجودة في المجتمعات الانسانية بمختلف درجات تحضرها، بين أديان شرك تقوم علي تعدد الآلهة وأديان توحيد وأديان تنفي وجود الإله، وعلي هذا تختلف كلا من هذه الأديان في طبيعة معتقداتها وطقوسها ومحرماتها ...الخ.

وبالتالي فعملية التحول من دين لآخر يفرض ضمنا التغير في طبيعة المعتقدات والطقوس والمحرمات ...الخ، التي يؤمن بها هذا الانسان. كما هو الحال عند قبائل الإيبو التي ينتقل أفرادها إلي اعتناق المسيحية ومن ثم يصبح من الضروري التخلي عن معتقدات وطقوس ..الخ دينهم التقليدي علي نحو ما سيتم توضيحه في الفصول القادمة.

الهوامش

----

(١) سهام محمود عراقى: الاتجاه الدينى المعاصر لدى الشباب، مطبعة الجهاد، الأسكندرية، ١٩٨٤، ص ص ١٩، ٢٢.

(٢) محمد أحمد بيومى: علم الاجتماع الدينى، دار المعرفة الجامعية، الأسكندرية، ١٩٩٣، ص ص ١٧٣، ١٧٤.

(٣) شارلوت سيمور سميث: موسوعة علم الإنسان. المفاهيم والمصطلحات الانثروبيولوجية «ترجمة» مجموعة من أساتذة علم الاجتماع، المشروع القومى للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٩٨، ص ١٣٦.

(٤) سامية مصطفى الخشاب: دراسات فى الاجتماع الدينى، «الكتاب الأول»، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٨، ص٢٢.

(٥) نفس المرجع، ص ص، ٢٣– ٢٤.

(٦) محمد عثمان الخشت: مدخل إلى فلسفة الدين، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠١، ص١٧.

(٧) إبراهيم عثمان: مقدمة فى علم الاجتماع، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمّان، ١٩٩٩، ص١٦٥.

(٨) Bowie, Fiona: The Anthropology of religion, Blaek-well publishers, Oxford, 2000, P.23.

(٩) حيدر إبراهيم على: الأسس الاجتماعية للظاهرة الدينية. ملاحظات فى علم الاجتماع الدينى، «ندوة» الدين والمجتمع فى الوطن العربى، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٠، ص٤٢.

(١٠) David Levinson "ed":Encyclopedia of culture anthropology, Vol.3, Henry Holt and company, New york, 1996, P.1090.

(١١) سهام محمود عراقى: مرجع سابق، ص ص ٢٤- ٢٥.

(١٢) سامية مصطفي الخشاب : مرجع سابق، ص ص، ٥٣، ٨١.

(١٣) محمد أحمد بيومي : مرجع سابق، ص - ص ٣٠٢- ٣٠٨

(١٤) حيدر إبراهيم علي : مرجع سابق، ص٤٢.

(١٥) The Encyclopedia Americana international,Vol.23, Grolier incorporated,1995,P.359

(١٦) عبد الباقي الهرماس: علم الاجتماع الديني. المجال - المكاسب - التساؤلات، « ندوة» الدين والمجتمع في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٠، ص١٨.

(١٧) سامية مصطفي الخشاب: مرجع سابق، ص ص، ٨٩، ١٠١.

(١٨) لوسي مير: مرجع سابق، ص ص، ٢٦٥- ٢٦٦.

(١٩) إبراهيم عثمان: مرجع سابق، ص ص، ٢٤٤-٢٤٦.

(٢٠) محمد عثمان الخشت: مرجع سابق، ص ص، ١٩، ٢٠.

الفصل الثاني

قبائل الإيبو بنيجيريا

تشـغل قبيلة الإيبو رقعة من الأرض، تصل مساحتها إلي حوالي ٢٤٠كيلو متر مربع تقع في الجنوب الشرقي لنيجيريا (١)

ويحدها من الشرق قبيلة الايبيبو- Ibibo ومن الشمال الايجالا Igalla وإدوما Idoma وأوجوجا Ogoja ويحدها من الجنوب إجو Ijo ومن الغرب أدو Edo (٢)

وتنقسم قبائل الإيبو إلي حوالي ثلاثين قبيلة أوتسع وستين عشيرة، أوما يقرب من خمسمائة جماعة قروية كلها ذات حكم ذاتي محلي منفصل عن الجماعات الأخري (٣)

وكل وحدة من هذه الوحدات تتمتع بقدر كبير من الاسـتقلال والذاتيـة في إدارة شـــئونها، وليس معني ذلك أن هذه الوحدات منفصلة تمام الانفصال فيما بيـنها، فهنـاك العديـد من الروابط التي تجمع بين هذه القري مثل الروابط الاقتصادية والتي تتمثل في عمليات التبادل السلعي في الأسواق التي تقام بين القري، وتساهم فيها مجموعة من القري المتجاورة. وروابط قرابية من خلال الزواج الاكسوجامي بشكل أساسي، وغيرهـا من الروابـط بين مجموعات القري.

وتعد القرية في أراضي الإيبو هي الوحدة السياسية الأساسية. ويسود كل قرية من هذه القري نظام حكم ديمقراطي مباشر، تشترك فيه كل البدنات المكونة لهذه القرية.

فلا يوجد شخص واحد تخوَّل له سلطة اتخاذ القرارات، وليس معني ذلك اختفاء الزعامات في أراضي الإيبو، فالزعامات موجودة لكنها متعددة. كذلك يعد لكل بدنة من بدنات القرية إسهامها في الحياة السياسية الخاصة بالقرية.

وتستقل كل قري الإيبو في شئونها عن أى وحدة سياسية أخري ولا تقبل أي قدر من السيطرة من قبل هذه الوحدات السياسية.

وتقضي شئون القرية من خلال مجلس يطلق عليه اسم amala أو oba ويتم إجراء هذا الاجتماع في إحد ميادين القرية حيث يتم مناقشة كل الامور المتعلقة بالقرية في مثل هذه الاجتماعات.

- أصل قبائل الإيبو

يعد البحث في أصل الإيبو " The origin of the Igbo people من الأمور التي شغلت اهتمام العديد من الباحثين الـذين تنـاولوا الايبـو بالدراسة والبحث، والتي نجم عنها إختـلاف، وعـدم إتـفـاق فيمـا بينهم بخصوص أصل الإيبو، حيث انقسموا إلي فريقين:

❋ الفريق الأول:

وهو الذي يؤيد ويدعم النظرية التي شاع استخدامها في الفترات المبكرة للبحث عن أصل الإيبو وتعرف بالنظرية السامية The semitic theory تعتمد في افتراضها علي ماذكر في الكتاب المقدس من وجود بعض القبائل الإسرائيلية المفقودة Last tribes of Israel، معتمدين في ذلك علي بعض التشابهات الثقافية الموجودة بين ثقافة الإيبو، وثقافة قدماء اليهود خاصة في الطقوس المرتبطة بالختان، والاحتفالات الخاصة بالزواج التقليدي، وطقوس الميلاد، وطقوس الدفن وطقوس التطهير، وقرابين الدم والمحرمات « التابو» واحترام الطعام والشراب، واحترام كبار السن والاحتفالات الخاصة بالمحصول ... الخ.

ويوجد بعض العلماء الذين ساهموا في تدعيم هذا الاتجاه أمثال« باسدين» Basden، ذلك المبشر الأثنوجرافي الذي عمل لدي الإيبو بين عامي ١٩٠٠ -١٩١٧م نجد أنه علي الرغم من عدم إشارته المباشرة إلي الأصل السامي للإيبو، يؤكد علي أن قوانين الإيبو وعاداتهم تعود في أساسها إلي قوانين اللاويين Levitic.

« وإنجاكا » Njaka الذي أكد علي أن كلمة إيبو تعود في أصلها إلي كلمة يهودي أو عبري Hebrew ، لأن هذه الأخيرة تحورت علي مر التاريخ إلي أن أصبحت « أبورو» Uburu أو « إبرو» Ibru، ثم تحورت بعد ذلك إلي أن أصبحت في النهاية كلمة إيبو Igbo .

غيـر أن هـذا التحـور الـذي يدعـيه « إنجاكـا» لا يتجـاوز كونـه إحتمالا لا يوجد ما يدعم صحته.

❋ الفريق الثاني:

وهو الذي يعود بأصل الإيبو إلي الأصل الحامي Hamitic nigiro فيشير «تالبوت» Talbot إلي أن الإيبو يعودون في أصلهم إلي الأصل المصري، لكنهم وصلوا إلي تلك المناطق التي يعيشون فيها الأن نتيجة الحروب النوبية في مصر، ثم إحتلال الهكسوس لها بعد ذلك.

ويعتمد أنصار هذا الاتجاه علي التشابهات الثقافية الموجودة أيضا بين ثقافة الإيبو وثقافة المصريين القدماء والتي من أهمها عبادة الشمس (٤)

ونجد أن كلا الفريقين قد اعتمد علي التشابهات التقافية للتأكيد علي صدق افتراضهم العلمي، والتي من شأنها إقتياد الباحثين إلي دوائر مفرغة لا تؤدي إلا إلي مجموعة من الاحتمالات التي لا نستطيع تغليب إحداها علي الآخر.

كما أن نظرة الإيبو لأصلهم تختلف عن كلا الفريقين السابقين، فهي نظرة ترتكز علي خصوصية نشأة هذه القبيلة، ويبدو هذا واضحا في أسطورة الخلق لديهم والتي تعود بأصل الإيبو إلي « إيري -Eri» الإنسان الأول الذي هبط من السماء في تلك المنطقة التي يعيش عليها ابناء الإيبو حتي الوقت الحاضر. وبالتالي فهي قبائل ليست مهاجرة.

- المناشط الإقتصادية عند قبائل الإيبو

يتميز مجتمع الإيبو بأنه مجتمع زراعي، تلعب الزراعة والمنتجات الزراعية الدور الرئيسي في اقتصاده التقليدي، ولذا تتجسد مناشطه الاقتصادية في :
١- النشاط الاقتصادي الزراعي. ٢- النشاط الاقتصادي شبه الزراعي.

٣ -التجارة.

١- النشاط الاقتصادي الزراعي

يعتمد النشاط الاقتصادي الزراعي علي الزراعة، والتي تعد أساس الحياة الاقتصادية للإيبو بل وللشعوب التي تعيش في الغابات الاستوائية الافريقية، وتحتل مناطق حوض الكنغو وأراضي ساحل غينيا ومنها مجتمع الإيبو ، حيث تعتمد هذه الشعوب علي الزراعة والمحاصيل الزراعية والتي تتمثل معظمها في المحاصيل الدرنية مثل اليام والكاسافا (٥) وبعض الحاصلات الأخري مثل الطماطم والذرة الشامية وبعض البقوليات والخضروات والفواكه (٦)

وعلي الرغم من أن حرفتي الزراعة والرعي قد يكونا متلازمتان في بعض الاحيان إلا أن الأمر يختلف عند شعب الإيبو وذلك بسبب تأثير الظروف المناخية والنباتية التي أدت إلي انتشار الغابات والأحراش والمستنقعات وارتفاع معدلات الرطوبة انتشار ذبابة تسي تسي التي تصيب الماشية بالأمراض لذلك لا يوجد لحرفة الرعي أثر واضح عندهم.

٢- النشاط الاقتصادي شبه الزراعي.

وهو نشاط اقتصادي، يعتمد علي المحاصيل والمنتجات الزراعية كأساس في عمليات أخري ، كالدخول في بعض الصناعات البسيطة المتعلقة بهذه المنتجات، أو الدخول في عمليات تجارية تعتمد علي التبادل السلعي لهذه المنتجات في الاسواق.

فيوجد في مناطق الإيبو بعض التوسعات في الصناعات البسيطة المتصلة بمنتجات النخيل، خاصة في المناطق الممتدة من «بنين» وحتي «كلبار» والتي تضم معظم مقاطعة أويري وقسما من مقاطعة أونيتشا (٧)

٣- التجـــــارة

للتجارة تاريخ طويل مع الإيبو حتي قبل الاتصال بالأوربيين، لكن لا يعني ذلك أن اقتصادهم يعتمد علي التجارة في الأساس.
ويوجد نمطان من التجارة عند الإيبو هي :

- التجارة المحلية

وتقوم علي تبادل احتياجات المنزل، من السلع البسيطة، والنساء هن اللاتي يقمن في الغالب بهذا العمل

- التجارة مع الجماعات والدول الأخري

وهي تجارة تقوم علي تجارة الملح والخيل والأحجار الكريمة ويسيطر عليها الرجال في معظم الأحوال (٨)
وكان لهذه المناشط الاقتصادية أثرها الكبير في ارتباط الإيبو بالطبيعة المحيطة بهم، والسعي الدائم والدؤوب علي استرضائها، وانعكس هذا بكل وضوح في النسق الديني للإيبو والذي اعتمد علي آلهة من الطبيعة ترتبط في الغالب بنشاطهم الاقتصادي مثل إله السماء آلهة الأرض.

وتعد ملكية الأراضي الزراعية من أهم أشكال التملك في مجتمع الإيبو، نظرا لأنه مجتمع زراعي تلعب الأراضي الزراعية دورا هاما في حياته المعيشية.

ويعتمد نظام ملكية الأراضي عند الإيبو علي أربعة مبادئ أساسية هي:
١- لا توجد أرض مجهولة، فكل قطعة أرض تنسب إلي شخص معلوم سواء كانت مزروعة أم غير مزروعة.
٢- تعتبر الأرض ملكا جماعيا للجماعة القرابية، ولا يستطيع أفرادها أن يغتربوا عنها، غير أن هذا المبدأ يعد بمثابة تصور أيديولوجي أكثر منه حقيقة.
٣- كل فرد في الجماعة له الحق في الحصول علي قطعة أرض لبناء منزل، وحقل للزراعة.
٤- لا يوجد أي فرد في الجماعة القرابية دون أرض وهذا المبدأ أدي إلي تفتيت الأراضي الزراعية داخل الإيبو(٩)
ويبدو من مضمون هذه المبادئ أن الأراضي عند الإيبو محددة الملكية .. وتنقسم

الأرض عند الإيبو إلي عدة أقسام، ويتضح ذلك بشكل أكبر في محاولة « ميك » Meek التمييز بين أربعة أقسام من الأراضي عند الإيبو هي :

١- الأراضى المقدسة أو المحرمة:

وهي الأراضي التي تعتبر موضوعا للتابو، حيث يعتقد الإيبو أنها وقف علي الآلهة والأرواح، وتوجد هذه الأراضي في الغالب حول المقابر علي اعتبار أن الأرواح تلجأ إليها وتسكن فيها، وتتمثل أيضا في المناطق المنزوية وبخاصة الأحراش التي يعتقد أن الأرواح الشريرة تتوطن فيها، ولذلك يحرم علي الناس الاقتراب منها أو استغلالها أو زراعتها ولهذا ظلت هذه الأراضي في الغالب دون استغلال.

٢- أرض الغابات والأدغال البكر:

وهي الأرض التي لم تزرع من قبل علي الإطلاق، إما لأن الناس ليسوا بحاجة إليها لكفاية الأرض الزراعية في المنطقة التي يقيمون فيها، وإما لأن القرية تحرم وتمنع قطع أشجارها، لكي تظل بمثابة درع واقي، ووسيلة للدفاع، وصد هجمات المغيرين، وإما للاحتفاظ بها كمصدر دائم للأخشاب، لكن في الغالب حينما يقوم الفرد بتطهير أي مساحة من هذه الأرض لزراعتها فإنها تصبح ملكا خاصا به، لا يمكن انكار حقه فيها أو الاعتداء عليها، بحيث يحق له أن يمنحها أو يتنازل عنها لغيره، لكن لابد للشخص الذي يريد تطهير هذه الأرض وإزالة أشجارها أن يرجع في البداية إلي كبار السن في عائلته، ليأخذ رأيهم وموافقتهم قبل أن يقدم علي هذا العمل.

٣- الأرض الزراعية الخاضعة للملكية الجماعية:

وهي الأراضي الزراعية التي تعد ملكا جماعيا للقرية كلها، ولكنها مقسمة علي الجماعات القرابية التي تدخل في تكوين القرية، ويظهر عنصر الملكية الجماعية في أن هذه الأراضي لا يمكن التنازل عنها بغير موافقة الجماعة كلها، وتعرف الأرض التي تملكها القرية ككل باسم « **أرض الناس أو الشعب** » بينما تعرف الأرض التي ترتبط بكل جماعة قرابية باسم « **أرض الأجداد** ».

وتعتبر القرية هنا وحدة اقتصادية كلية، لأن كل أعضائها يشتركون في جميع المهام الخاصة بالزراعة من تقسيم العمل وتوزيع المحصول بينهم، لكن هذه الفكرة أصبحت في الغالب لا تمثل سوي إطار أيديولوجي فقط لأفراد القرية الواحدة.

٤- الأرض المملوكة ملكية فردية:

وهي تتألف من الأراضي التي يقوم المرء بتطهيرها من الحشائش والغابات ويدخل في هذه الفئة الأراضي التي تؤول إلي الفرد عن طريق الارث من الأب أو

التي يحصل عليها الفرد من غيره في مقابل سداد دين(١٠)

وهنا لا تظهر القرية أو حتي الجماعة القرابية كوحدة اقتصادية، بل يعد دور الفرد هو الأكثر وضوحا من دور الجماعة، لأن الأرض في هذا النمط تخضع للملكية الفردية

*** طرق نقل الملكية عند الإيبو:**

تكثر طرق نقل الملكية في المجتمعات الإنسانية، فقد تكون عن طريق البيع والشراء أو عن طريق الإرث أو عن طريق المبادلــة أو الرهن والمداينة، ويأخذ كل مجتمع ما يناسبه لنقل الملكية بين أفراده واضعاً في ذلــك مجموعة الأسس والمعايير التي تضبط هذه العملية.

ويعتبر الإرث من أهم الطرق التقليدية في نقل الملكية بين أفراد الإيبو

حيث يعد نظام الإرث من الأنظمة المعقدة والتي تختلف من مجتمع لآخر، فلكل مجتمع نظمه الخاصة به في تناقل ممتلكاته خاصة إذا كان هذا التناقل يتم عن طريق الإرث.

وفي أراضي الإيبو تؤول ملكية الأراضي للرجال فقط حيث يعتقد أنهم هم الوحيدون القادرون علي نقل أراضي الأسلاف والأجداد إلي ذرياتهم المتعاقبة، أما النساء فلا تستطيع أن تقوم بذلك، لأنهن يتزوجن بعيدا في وحدات قرابية أخري، وأبناؤهن ينسبون للجماعة القرابية الخاصة بأبيهم وبالتالي يرثون هذا الأب (١١)

ويدل ذلك - علي ما يبدو - وجود تمييز بين الرجل والمرأة في قبائل الإيبو، ولكن **عقيدتهم التي يؤمنون بها** هي المحافظة علي أرض الأجداد، وهذا أمر معتاد ومألوف في كثير من المجتمعات ذات النسب الأبوي، حيث يعتبر الذكور هم الامتداد الطبيعي للوحدة القرابية، لأن المرأة تنتقل في ظل النظام الأبوي إلي عائلة الزوج، وبالتالي يكون الذكور أكثر قدرة في المحافظة علي أرض الجماعة القرابية وأرض أجدادهم.

- الزواج عند قبائل الإيبو

الزواج عند الإيبو هو ذلك الارتباط الذي يتم بين رجل وامرأة من عائلتين مختلفتين ليعيشا معا في ظل حياة شرعية Lawful وبغرض إنجاب أطفال شرعيين ولهذا يعد الزواج عند الإيبو عامل ضروري لا غني عنه في استمرار الانحدار في الخط العائلي family line من خلال إنجاب الأطفال الذين يعتبرون ركيزة أساسية وهدف قوي لهذا الزواج.

ولذلك تعتبر الخصوبة لكل من الزوجين في غاية الأهمية عند الإيبو، ويتضح هذا في دعاء رب العائلة كل صباح عند تقديمه القرابين وأدائه الصلوات للآلهة، حيث يدعوا لكل أفراد عائلته بدوام تمتعهم بالخصوبة طول العمر (١٢)

والزواج كما يشير « أوشندو» Uchendu (١٣) هو الوضع الطبيعي لكل من الرجل والمرأة في أراضي الإيبو لأن الزواج لا تقتصر أهميته علي الفتاة فقط دون الفتي، فالمجتمع ينظر إلي الفتي الذي بلغ سن الزواج ولم يتزوج علي أنه إنسان غير ناضج وتنقصه الرجولة. ويعتبر السن الطبيعي للزواج عند الإيبو ما بين ٢٥ إلي ٢٨ سنة للفتي وما بين ١٤ إلي ١٨سنة للفتاة.

ويعتبر الأطفال أهم ثمرة للزواج عند الإيبو ويتضح هذا في الأسماء التي يطلقها الإيبو علي أطفالهم، والتي منها uwa- uwabu بمعني أن الطفل هو كل دنيتي، واسم nwakasi أي الطفل لا يقدر بثمن واسم aguu- nwadi أي الطفل مرغوب فيه.

فالرجال والنساء في أراضي الإيبو لديهم رغبة قوية لإنجاب الاطفال. ويوضح « باسدين » Basden هذا بقوله بأن الرجال والنساء في أراضي الإيبو يتعرضون لكثير من الاستهزاء والسخرية من باقي أفراد مجتمعهم في حالة عدم زواجهم، والمرأة التي تزوجت ولم تنجب فهي امرأة معرضة لكثير من الاستهجان والسخرية من باقي أفراد المجتمع، مما يعرض الحياة الزوجية لهذه المرأة لكثير من المشاكل والمتاعب بينها وبين زوجها وعائلته.

ولهذا تظل مكانة المرأة ضعيفة في أسرة زوجها حتي تنجب طفلا لهذا الزوج، وتزداد مكانتها قوة أكثر حينما يكون الطفل ذكر، لأنها من خلال هذا الانجاب تمنح لقب زوجة wife في عائلة زوجها، أما المرأة التي يقدر لها عدم الإنجاب يطلق عليها مسمي « امرأة عاقر mgbaliga » وهؤلاء هن أكثر النسوة ترددا علي

العراف -Dibia في أراضي الإيبو ليقدم لهن الوصفات والعلاج ويبعد عنهن الأوراح الشريرة ...الخ،

علي الرغم من أن الزواج يعمل علي خلق روابط قرابية جديدة، لكنها روابط تختلف في طبيعتها عن روابط القرابة الناشئة عن القرابة العاصبة، ذلك لأن الزواج يربط بين الافراد عن طريق المصاهرة، ومصطلح المصاهرة هنا لا يصف العلاقة بين الزوج والزوجة فحسب وإنما بين كل منهما وبين سائر الأقارب الدمويين للطرف الأخر .

وتكفل ثقافة كل مجتمع الأسس والقواعد الخاصة بالزواج داخلها، ومن ثم تحديد أنماطه وطبيعته، وتحديد ما يترتب عليه من علاقات وحقوق وواجبات، وللزواج أنماط متعددة في أراضي الإيبو يمكن توضيحها علي النحو التالي:

الزواج عند الإيبو **" زواج اكسوجامي"** والذي علي أساسه لا يحق للفرد الزواج من داخل جماعته الاجتماعية أو جماعته المحلية، حيث تعتبر العائلة الممتدة جماعة اجتماعية يحرم الزواج فيما بين أعضائها، وقد تمتد قاعدة التحريم هذه لتشمل كل الأقارب kindred بل وقد تمتد هده القاعدة لتشمل الوحدة المحلية التي ينتمي إليها الفرد، حيث يحرم الزواج بين الأفراد داخل القرية الواحدة حتي ولو لم يكن بينهم أي صلات قرابية (١٤)

وتمتد قاعدة التحريم لتشمل عائلة الأم أيضا حتي الجيل الثالث أو الرابع (١٥) وأي اختراق لتلك القواعد يعد بمثابة إختراق لقواعد التحريم، وتدخل ضمن نطاق الزنا بالمحارم.

وتقوم قواعد التحريم هذه بتحقيق العديد من الوظائف يعد من أهمها خلق روابط بين الأسر المختلفة، ومن ثم التأليف بينها في كيان كلي متعاون بشكل أكبر، فالبشر لا يعيشون في جماعات تكاثر متفرقة وإنما يعيشون في مجتمعات محلية، وفي مجموعات منظمة، تعيش داخل حدود اقليمية معينة، تضم الكثير من وحدات التكاثر.

وبفضل الثقافة يتعاون أفراد هذه المجتمعات بدلا من أن يتنافسوا بعضهم مع بعض، وتعد قواعد التحريم هذه من إحدي الوسائل التي تستهدف تحقيق هذه الغاية (١٦)

وليس معني ذلك اختفاء **" الزواج الاندوجامي "** داخل قبيلة الإيبو، بل يوجد هذا النمط من الزواج لكنه قاصر علي طبقة العبيد «osu» فقط (١٧)

حيث تمنع معتقدات الإيبو زواج العبيد من الذين ولدوا أحرار Diala في

أراضي الإيبو، إذ يجب أن يتزوج العبد من داخل مجموعته الاجتماعية، **لأن الإيبو يعتقدون في أن العبيد كرسوا أنفسهم وذريتهم للآلهة، والآلهة تغار علي ملكيتها،** ولا يصح أن يقترب أفراد الجماعة من أي شئ أو أي إنسان يخص الآلهة، ولو حدث وتجاهل أي فرد هذه القاعدة من خلال عمل علاقة جنسية مع أحد أفراد طبقة العبيد يحكم عليه بالموت (١٨)

وبجانب الأنماط السابقة للزواج يوجد " **الزواج التعددي Polygyny** " بل ويعد هو النمط السائد في معظم أراضي الإيبو، وليس معني هذا عدم وجود النمط **المنوجامي** « الأحادي » في قبيلة الإيبو، لأنه في كل الأحوال يبدأ الزواج بالنمط المنوجامي، لكنه قد ينتهي في النهاية بالزواج البوليجاني التعددي (١٩)

فالفتي يبدأ بزواج فتاة واحدة ثم يتزوج بأخريات كلما أتيح له ذلك، لأنه يعد رمز لعلو المكانة الاجتماعية والاقتصادية في مجتمع الإيبو ويدل علي القدرة المادية للرجل علي الزواج أكثر من مرة.

ويوجد أيضا نمط **« زواج المرأة بالمرأة »** فمجتمع الإيبو يسمح للمرأة أن تقوم بدور الزوج حيث يمكن للمرأة أن تتزوج بأخري بإعطائها مهرا، فتصير الأولي زوج وتصبح الثانية زوجة، وتوجد بينهم كل الحقوق والواجبات التي يفرضها الزواج الناجم عن دفع المهر (٢٠)

وفي هذا النمط يجب التمييز بين نمطين من الابوة هما الأبوة الفيزيقية والابوة الاجتماعية، فالأب الفيزيقي هو الشخص الذي أنجب الطفل فعلاً، بينما الأب الاجتماعي هو الشخص الذي ينتسب إليه الطفل، ويحمل اسمه، ويرث مكانته، ومركزه الاجتماعي ويرث ثروته أيضا (٢١)

والأطفال في هذا النمط من الزواج عند الإيبو ينتمون إلي الأب الاجتماعي وليس للأب الفيزيقي.

غير أن هذا النمط من الزواج لا تلجأ إليه في العادة سوي المرأة العاقر، وهو نادرا ما يحدث لأنه إذا كانت المرأة قادرة علي دفع مهر إلي امرأة أخري، فعليها أن تعطيه لزوجها أو علي الأقل تساعد زوجها في دفع مهر زوجة جديدة له (٢٢)

الهوامش

----

(۱) C.N.Ubah: the supreme being, divinities and ancestors in Igbotraditional religion. Evidence from Otanchara and Otanzu, Africa, Vol. 52, no.2, 1982.P.90

(۲) الشبكة الدولية "الأنترنت" www.uib.no/hi/korieh/chima.html

(۳) نازلي معوض أحمد يوسف: الحركة الانفصالية في نيجيريا «قصة بيافرا»، رسالة ماجستير «غير منشورة»، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، ١٩٧٤، ص ٣١.

(٤) E.U.Oramasionwu: Op.cit.,pp14,17

(٥) سعاد شعبان: الانثروبولوجيا الثقافية لأفريقيا، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، ١٩٨٦، ص١٤٩.

(٦) N.Ezumah & A.M.Didomenico : Enhancing the role of women in crop production, a case study of Igbo women in Nigeria, World development,Vol.23,No.10,1995.P

(٧) وليم باسكوم &، ملفيل هيرسكوفتز: الثقافة الإفريقية . دراسة في عناصر الاستمرار والتغير، «ترجمة» عبد الملك الناشف، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٦٦، ص ص ٤٣١ـ ٤٣٢.

(٨) ماجدة فتحي رفاعة: مرجع سابق، ص١٣٣.

(٩) نفس المرجع : ص ١٣٠

(١٠) أحمد أبو زيد: البناء الاجتماعي «الجزء الثاني» «الاتساق»، مرجع سابق، ص ص ١٦٤ـ ١٦٦.

(١١) O.C. Agukoronye: Landscape practices in Traditianal Igbo society. Nigeria, Land scape research , Vol. 26,No.2,2001,P. 89

(١٢) http:// www.afrikaworld. Net /afrel/igbo.marrige htm,3/11/2002

(١٣) http://www.Uib.no/hi/korieh/chima.htm 5/11/2002

(١٤) http://www.Uib.no./hi/korieh/chima.htm5/11/2002

(١٥) ماجدة فتحي رفاعة: مرجع سابق، ص٢٠٦

(١٦) محمد الجوهري: الانثروبولوجيا أسس نظرية وتطبيقات عملية ، مرجع سابق، ص٢٨٤

(١٧) http://www.Uib.no./hi/korieh/chima.htm5/11/2002

(١٨) ماجدة فتحي رفاعة: مرجع سابق، ص ص ٢٠٥- ٢٠٦.

(١٩) www.afrikaworld.net/afrel/Igbo.

Marriage htm,3/11/2002

(٢٠) http://www.Uib.no./hi/korieh/chima.htm5/11/2002

(٢١) عادل علي مصطفي: العلاقات القرابية في أفريقيا، دراسة في الأنثروبولوجيا الاجتماعية، «في» الموسوعة الإفريقية، المجلد الرابع «الانثروبولوجيا»، معهد البحوث والدراسات الافريقية، جامعة القاهرة، ١٩٩٧، ص١٠٤.

(٢٢) www.afrikaworld.net/afrel/Igbo
Marriage htm,3/11/2002

الفصل الثالث

الدين التقليدي عن قبائل الإيبو

تشير حورية مجاهد (١) إلي أن هناك بعض العلماء اللذين يروا أن الديانة التقليدية الأفريقية يجب الحديث عنها بصيغة الماضي حيث تتلاشى، إلا أنها لا تزال تمارس بواسطة أفراد موجودين اليوم بالتبعية لآبائهم، لأنها تمثل امتداد للماضي وربط للحاضر بالأبدي.
لكن أسيئ فهم تلك المعتقدات التقليدية، حيث أساء الرواد من الأوروبيين فهم ما يجري داخل القارة. فالبعض نظر للأفريقيين علي أنهم متوحشون وليس لديهم دين، والبعض الأخر أساء وصف المعتقدات الدينية التقليدية واعتبرها وثنية وأنها عبادة الأصنام والدُمي والتعاويذ وأشياء أخري من صنع الإنسان، ولذا وصفت غالبية هذه الأديان بأنها أديان فتشية في الأساس.

وهناك من أكد علي أنها ديانات تنطوي علي عبادة الأسلاف وتقديس الأرواح والإيمان بتناسخها .
وكان لهذه الآراء أثرها في زيادة اهتمام الكثيرين من العلماء لدراسة الأديان التقليدية والوقوف علي فلسفتها ومعرفة ملامحها...الخ. لأنها تعكس في النهاية شخصية المجتمع وهويته التي تميزه عن غيره من المجتمعات الأخري.

وكان للدين التقليدي عند قبائل الإيبو نصيب من اهتمام العلماء بدراسته أمثال " نوالا "Nwala الذي قسم الدين التقليدي عند الإيبو إلي خمسة أقسام هي.

1- الإله الأعلى.
2- الآلهة الطبيعية.
3- عبادة الأسلاف.
4 - وسطاء الوحي "«الكهنة"».
5- القوي غير المادية.

« وأرثرليونرد » "Arthor Leonard" الذي أكد علي أهمية الدين في حياة الإيبو بقوله "إن ما يقال عن الهندوس يمكن أن يقال عن الإيبو. فالإيبو يأكلون ويشربون ويرتدون ملابسهم بطريقة تتسم بأنها دينيه. فالدين عندهم هو وجودهم،

ووجودهم لا يتمثل إلا في وجود الدين (٢)

وهذا التلازم الواضح بين شعب الإيبو ودينهم التقليدي يعكس ارتباطهم القوي بهويتهم الإثنية لدرجة أن البعض وصفهم بالشعوب المتدينة، حيث تبرز ملامح الدين في كافة مناحي الحياة لديهم.

وينطوي الدين التقليدي عند الإيبو في الاعتقاد بوجود إله أعلي وأعظم يسمي شوكوا Chukwu، وهو خالق لهذا الكون بما يحتويه من أسرار ومخلوقات. ومن بين مخلوقات « شوكوا» خلقه للآلهة الطبيعية والتي تدانيه في القوة والقدرة مثل إله الشمس وإله السماء وإله الرعد وإلهة الأرض.

كما يبجل الإيبو أسلافهم ويؤمنون بقواهم الروحية مما يجعل البعض يصف هذه العلاقة بأنها عبادة للسلف.

ويؤمن الإيبو بوجود أرواح كثيرة محيطة بهم منها الخير ومنها الشر. ويدعم كل هذه المنظومة العقائدية العديد من الطقوس الدينية تتمثل في العبادات وتقديم القرابين، والتي تؤدي من خلال الكهنة والعرافين. ويمكن توضيح ذلك بشيء أكثر من التفصيل علي النحو التالي.

أولاً: الإلــه الأعلــى Supreme Being

يعتقد الإيبو في وجود إله أعلي خالق لهذا الكون يسمي « شوكوا » ويعيش في ذلك الحيز الموجود بعد السماء.

والحقيقة أن الصورة غير واضحة عن ذات هذا الإله وعن كينونته، لكن من الواضح أن هذا ليس قاصراً علي الإيبو فقط، حيث إن العقل البشري عامة قاصر علي تفهم ذات الله وبالتالي تصوره، ومع هذا فإن هناك بعض الخصائص التي يوصف بها هذا الإله وتعكس في مجملها تصور الإيبو لهذا الإله.

وفيما يلي توضيحاً لبعض هذه الصفات:

1- شوكوا القدير Chukwu is omnipotent

تعد صفه القدرة من الضروريات التي ينبغي أن تتوفر في الإله الخالق، لآن عملية الخلق - والتي يتصف بها هذا الإله دون غيره - تتطلب في الأساس قدرة للقيام بهذه العملية.

ويعتقد الإيبو في قدرة «شوكوا» والتي تتبدي للجميع في قدرته علي خلق هذا

الكون بأكمله بما فيه من سماء وأرض وشمس ونجوم وقمر...الخ.

ويشير الإيبو لهذه القدرة التي يتمتع بها شوكوا بعديد من الأسماء والعبارات المرتبطة بهذا الإله، مثل اسم أوسبليو Osebuluwa والذي يشير إلى أن شوكوا هو الإله الرافع Carrier لهذا الكون كله ويحمله علي يديه , ولا يوجد أي شئ له قدرة وقوة مثل هذه القدرة والقوة التي يتصف بها شوكوا، لأنه هو الإله القوى والمتين، ولا يوجد أي شئ يعجز عنه أو يصعب علي قدرته.

2- شوكوا العظيم Chukwu is Transcendent

شوكوا ليس إلها قديراً فحسب بل هو إله عظيم ورفيع المنزلة وعالي المكانة ولا يحق مقارنته بأي شئ أخر لآن أي شئ في هذا الكون مهما بلغت مكانته وسمو منزلته وعظمته فإنه يداني عظمة ومكانة شوكوا فشوكوا هو ملك السماء والأرض والكون بأكمله.

ومن دلائل هذه العظمة قول الإيبو Onyedika chukiwu بمعني أنه لا يوجد في هذا الكون من يشبه شوكوا. وتنعكس هذه العظمة في قدرته غير المحددة وعلمة المطلق وحفظه ورعايته لكل هذا الكون (٣)

3- شوكوا العليم Chukwu is all knowing

يعتقد الإيبو في أن شوكوا هو وحده الذي يعرف كل المعرفة ولا يخفي عليه أي شئ. (٤)

وعلم شوكوا يختلف عن علم أي مخلوق من مخلوقاته لآن علم شوكوا علم مطلق ليس له حدود زمانية أو مكانية.

وعلم شوكوا بكل شئ ينطوي علي عقيدة إيمانه عند الإيبو تتمثل في عدم حدوث أي شئ بطريقة عرضية وفجائية لشوكوا، ومن ثم لا يستطيع حدوث أي شئ دون إرادته ومعرفته فهو علي علم بكل شئ قبل حدوثه وبعد حدوثه.

4- شوكوا العادل Chukwa is the God of Justice

اسم شيناجرم Chinagorem يستخدمه الإيبو في لغاتهم للإقرار والتسليم بعدالة شوكوا، والعدل يتناقض تمام التناقض مع الظلم.

وينطوي عدل شوكوا علي حقيقة إيمانية لدي الإيبو تقضي بأن شوكوا يعطي كل ذي حق حقه ومن ثم يوجد الثواب والعقاب داخل معتقدات الإيبو.

والعدل المطلق هو عدل شوكوا لآنه عدل مترتب علي علمه اللا محدد ومعرفته

اليقينية بالأخيار والأشرار من مخلوقاته.

5- شوكوا المنعم Chukwa is the Cod of Grace

يؤكد الإيبو دائماً علي أن الفضل كله والنعم التي يعيشون فيها تعود في أصلها الي شوكوا، الذي يعتبر مصدر العطاء والخير للايبو.

ويؤكد الإيبو علي هذه الحقيقة العقائدية مستشهدين في ذلك بالعديد من الأمثلة لعل من أهمها إنجاب الأطفال والذي يعد من بين النعم الكثيرة التي يعطيها شوكوا لهم. فكل ما لديهم من خير ونعم ليس من أنفسهم بل من عند شوكوا ومن فضله عليهم.

6- شوكوا الرحيم Chukwa is the Cod of Mercy

توجد العديد من الأسماء عند الإيبو والتي تحمل في طياتها معاني الرحمة والعطف والإحسان لشوكوا علي مخلوقاته، والتي تظهر في كرمه وسخائه ونعمه التي لا تعد ولا تحصي علي أبناء الإيبو.

ولأن شوكوا إله رحيم فالطريق الذي يختاره لمخلوقاته يعتبر من أفضل الطرق والقدر الذي قدره عليهم قدر نابع من رحمته وعطفه عليهم، لأنه لا يريد سوى الخير لمخلوقاته، وفي هذا رحمة بهم وإشفاقاً عليهم وعلي قدرتهم المحدودة.

7- شوكوا الحفيظ Chukwa is Providence

يعتقد الإيبو أن شوكوا بعد إتمامه لعملية الخلق استقر بعيداً يري مخلوقاته ويحيطهم برعايته ويحفظهم بقدرته.

واستخدم الإيبو في ذلك العديد من العبارات التي تؤكد علي ان كل شئ علي هذه الأرض يعتمد علي شوكوا ويسير برعايته. (٥)

وتعكس كل هذه الصفات السابقة المرتبطة بشوكوا قدراً كبيراً من الأتساق حول مفهوم الإله الخالق والتساند الضروري بين هذه الصفات. فالعدل يعتمد علي المعرفة والعلم، وكلاهما يرتبط بالقدرة اللامحدودة والتي تتسق مع العطاء المطلق والنعم التي لا تعد ولا تحصي والتي تعكس في النهاية مدي رحمته وعطفه بمخلوقاته.

وعلي الرغم من المكانة العالية والمنزلة الرفيعة لشوكوا في المنظومة العقائدية عند الإيبو يؤكد العديد من الباحثين علي أن أبناء الإيبو غير مهتمين بهذا الإله، ومدعمين ذلك ببعض الدلائل مثل عدم وجود أي رمز أو صورة لعبادة هذا الإله علي أراضي الإيبو ولا يوجد له كهنه يقومون بخدمته والصلاة من أجله وتقديم القرابين لمرضاته وشكره (٦)

ويعلل « ارينز Arinze » هذا بأن الهدايا الرمزية " **القرابين** " تكون هامة وضرورية حينما يكون الأفراد في حاجة الي أن يقوم هذا الإله بمنحهم جزءاً من فضله وقدراً من عطاياه. لكن شوكوا لا يهتم مطلقاً بشؤن هؤلاء الافراد وهذا بعكس الآلهه الأخري، وبالتالي لا توجد حاجة لتقديم القرابين له أو عبادته. (٧)

ويفسر « جاك مندلسون » (٨) هذا التناقض في إطار نظرته إلي طبيعة الأديان التقليدية في أفريقيا إلي أن الديانات التقليدية تري أن **الله** « **الإله الأعلي** »" أسمي من أن يتصل به البشر رأساً وإنما يكون اتصالهم به عن طريق أرباب أدني منزلة، وكلهم إلاله الأعلي بشؤن الحياة المختلفة. فالإله الأعلي من وجهة نظر غالبية هذه الديانات خالق الكون بأكمله ووهبه الحياة ووضع نواميس الطبيعة، ولكنه لا يمكن الإتصال به في الطلبات اليومية للبشر إلا عن طريق أرباب أو أرواح، لأنه أسمي من أن يتصل به البشر مباشرة لقضاء مثل هذه الأشياء الصغيرة والأدني من أين يهتم بها هذا الإله السامي.

ويشير « ميك » Meek إلي ان شوكوا تقدم له القرابين والعبادات وكل مظاهر الاحترام والتبجيل وذلك من خلال تقديم القرابين والعبادات للألهة الطبيعية التي تدانيه في المكانة والمنزلة عند الإيبو.

كما يوضح « إمبيتي » Mbiti في هذا الصدد أن شوكوا هو المتلقي الأساسي والآخذ الأخير لهذه القرابين يصرف النظر عن إدراك أو عدم إدراك المتعبدين Worshipper لهذا الأمر.

وبذلك تقدم القرابين والعبادات لشوكوا لكن بطريقة غير مباشرة من خلال وسطاء مثل الآلهه والأسلاف والأرواح...الخ. وذلك لآن الإيبو علي يقين بأن شوكوا يمتلك كل شئ وليس في حاجة للقرابين أو أي شئ أخر (٩)

ثانياً: الألهـة الطبيعية

تنطوي غالبية الأديان التقليدية في أفريقيا علي فكرة مؤداها أن الإله الأعلي أسمي من أن تتصل به البشر، وإنما يكون اتصالهم به عن طريق أرباب أدني منزلة منه، فوضهم الإله الأعلي للقيام بشؤن الحياة المختلفة بعد خلقه لهذا الكون ووضعه نواميس الطبيعة.

وتحتوي المنظومة العقائدية عند الإيبو علي بعض الألهه الطبيعية، يختص كل منهم بأعمال فوضه فيها شوكوا للحفاظ علي هذا الكون، لتشكل في مجملها شكل أشبه ما يكون بالحكومة الثيوقراطية يعمل فيها الألهه الطبيعية عمل الوزراء ويأتي شوكوا علي رأس هذه الحكومة.

ويشير « إلوجا » Iloga إلي وجود أربعة ألهه طبيعية في أرض الإيبو تتمثل في إله الشمس وإله السماء وإله الرعد والبرق وإلهة الأرض. (١٠)

1- إله الشمس The sun God

يعرف الإيبو منذ قديم الأزل أهمية الشمس في حياتهم، فشروقها في الصباح وغروبها في المساء يحدث تعاقب الليل والنهار..... إلخ.

ويطلق الإيبو علي إله الشمس إسم « أنيانوا » Anyonwu معتقدين أنه يمثل عيون شوكوا علي مخلوقاته. فشوكوا يري مخلوقاته من خلال "«أنيانوا"» الذي يبلغ شوكوا بكل ما يتعلق بالمخلوقات من أفراح وأحزان وكل ما تخفيه هذه المخلوقات من أسرار وما تتمناه من أمال وما ترجوه من أفعال وما تسعي إليه من أعمال.

ولذا حينما يتضرع أي فرد من أبناء الإيبو لشوكوا فإنه يرفع كفيه الي أعلي تجاه الشمس قائلاً عبارة oka midioch, Chokwa Lekwu أي " «أنظر يا شوكوا يدايا نظيفتان"» معلناً بذلك براءته وسلامه نيته أمام أنيانوا الذي يقوم بدورة بنقلها إلي شوكوا. (١١)

ويبدو في اعتقاد الإيبو بأن أنيانوا هو عين شوكوا يرتبط بدرجة ما بالشكل الفيزيقي لقرص الشمس الذي يشبه العين ويوجد في كل مكان يوجد فيه الفرد أو يذهب إليه، وتتمثل مظاهر عبادة هذا الإله في وجود معابد صغيرة يعبد فيها، وتقدم له القرابين بداخلها من أجل مرضاته. (١٢)

2- إلـه السماء The sky God

تشير كلمة إيجو Igwe في لغة الإيبو إلي السماء أي ذلك الحيز الذي يوجد

بداخلة الشمس والنجوم والقمر...الخ. أما كلمة إينا إيجو Enu Igwe فتشير إلي ما هو أعلي من السماء أو ما بعد السماء Above heaven والذي يتمثل في ذلك الحيز الذي يعيش فيه شوكوا. (١٣)

وكما أن كلمة إيجو تشير الي السماء فهي تشير أيضاً الي إله السماء الذي يعتقد انه "ابن شوكوا" ومتزوج من إلهه الارض والتي يطلقون عليها اسم "ألاAla" .
ويعتبر إيجو مصدر المطر في أرض الإيبو ووظيفته تتمثل في إخصاب الأرض عن طريق المطر. (١٤)

ورغم أنه من المفترض أن يكون صانعو المطر rain makers أكثر الأفراد ارتباطاً بهذا الإله في أراضي الإيبو، إلا أنهم يزعمون أن صنع المطر يرجع في الأساس إلي علم صناعة المطر والذي يمكن لآي فرد من أبناء الإيبو تعلمه إذا ماً دفع مقابل هذا التعليم واحترم قواعد التابو الخاصة به والتي تعد من بينها العمل علي منع إنزال المطر.

ويعاقب من يقوم بهذا العمل « منع إنزال المطر» بأن يترك هذا العلم ولا يمارس هذه المهنة ولا يعاود القيام بهذا العمل ثانية ويحلف علي ذلك.

ويوجد لهذا الإله معابد صغيرة خاصة به يعبد فيها وتقدم له القرابين من خلال كهنة قائمين عليخدمته.

ويوجد له أيضاً بعض الأماكن الخاصة به لنزول وحيه فيها، تعرف باسم وسيط الوحي Oracle مثل وسيط الوحي الموجود في قلب بلده أمنوها Umunoha بمدينة أويري. (١٥)

ويوجد هذا الوسيط في العادة في وسط إحدي الغابات الكثيفة بحيث يكون بعيداً عن الطرق التي يسير فيها الناس وبعيداً عن المساكن التي يعيش فيها الأفراد وبعيده عن أي نشاط يقومون به.

وفي الغالب يكون الطريق المؤدي إليها طريقاً ملتوياً وذلك بغرض الابتعاد كل البعد عن أهوال نزول الوحي Inspire terror . (١٦)

3- إله البرق والرعد The Cod of Thunder and Lightening

يطلق الإيبو علي هذا الإله إسم أماديوها Amadloha، ولكن اختلفت الكثير من الكتابات في تحديد مضمون هذا المسمي فهناك من أشار إلي أن أماديوها هو إله الرعد فقط، وأخرون قالوا إنه إله البرق فقط والبعض أشار إلي أنه إله البرق والحرب معاً ، وهناك أخرون قالوا إنه إله العواصف...الخ.

ورغم هذا الأختلاف فهناك ثمة إتفاق بين العديد من هذه الكتابات حول أماديوها بأنه إله البرق والرعد، لأن ظاهرتي البرق والرعد من بين الظواهر الطبيعية المتلازمة مع بعضهما البعض وهما من الظواهر السائدة في المناطق الاستوائية التي تعيش قبائل الإيبو في محيطها.

ولكلتا الظاهرتين أثرهما المرعب في قلوب ساكني هذه المناطق، وكان من الضروري تقديم تفسير مقنع لهما ويعد التفسير الديني من أهم التفسيرات في تلك المجتمعات، لأنه تفسير ينطوي علي الأقرار والتسليم.

ومن بين الدلائل التي تؤكد علي ان أماديوها هو إله البرق والرعد، اعتقاد الإيبو في ان أماديوها يمكن رؤيته من خلال البرق وسماع صوته من خلال الرعد.

ويرتبط أماديوها عند الإيبو بالدمار والخراب، لأن وظيفته تحقيق العدل والإقتصاص من الأشرار ومعاقبة الساحرين والساحرات وكل من يخرج عن القانون. (١٧)

ويطلق علي أماديوها في بعض الأحيان اسم إجبي إجو Egbe Igwe أي « **بندقية السماء** »، لانه يعيش في السماء ويخترق الفضاء كله إلي أن يصل إلي الأرض، ويحقق عدالته واقتصاصة من الأشرار.

وارتباط هذا الإله بالدمار والخراب في المعتقد الديني عند الإيبو يرتبط في الأساس بما تنطوي عليه ظاهرتا البرق والرعد من أضرار تلحق بالبشر، فالبرق قد يوذي البصر والرعد يؤثر علي السمع.

وتشير إحدي أساطير الإيبو حول أماديوها بأنه ذات مرة لمس الأرض بردائه فجردته إلهة الأرض من قوته وبطشه وجبروته الذي يتمتع بهم قبل ذلك. (١٨)

ولذلك يقف هذا الإله موقف النقيض من إلهه الأرض فيما يحمله أبناء الإيبو من مشاعر تجاه كلاً منهما.

فينظر لإلهه الأرض علي أنها الأم الحنون والعطوف علي أبنائها من الإيبو، في حين أن أماديوها يوصف بأنه إله الموت والخراب والدمار، ولهذا يبتهل الإيبو لهذا الإله لكي يقصر عقابه علي أعدائهم فقط. (١٩)

وينعكس هذا التصور عند الإيبو في الأشكال التي يقومون بصنعها لهذا الإله فيوجد لهذا الإله علي سبيل المثال شكل بارز في المدخل الرئيسي « لبيت إمباري » House Imbari وهو المعبد الذي أمرت الألهة بإقامته لها، وهو شكل يصور **أماديوها** وهو جالس والبياض يخرج من رأسه حتي أقدامه ويحمل في يده اليمني سيف ورمح ويحمل في يده اليسرى شئ أشبه ما يكون برأس بلطة حجرية. (٢٠)

4- إلهــة الأرض The Earth Goddess

تشير كلمة " ألا- Ala " في لغة الإيبو إلي الأرض، ذلك الكيان المادي الذي يحيي عليه الإيبو، كما تشير الكلمة ذاتها إلي ذلك الكيان الروحي اللاهوتي المتمثل في إلهة الأرض.

وتعد **آلا** من الآلهة البارزين التي تتمتع بمكانه كبيرة عند الإيبو، فيخضع لسلطانها كل من العالم السفلي. « عالم الأرواح » والعالم الانساني فوق الأرض بما يحتويه كل منهما من مخلوقات. (٢١)

وتقوم آلا بالعديد من الأعمال، تتمثل أهم هذه الأعمال في وضع الخصوبة في أرحام النباتات والحيوانات والانسان (٢٢)

كما تتعهد آلا بحفظ العادات والتقاليد والأعراف السائدة والقيم الأخلاقية في أراضي الإيبو.

لذا يعد أي سلوك مخالف لهذا العرف أو هذه العادات والتقاليد مثل القتل العمد أو الزنا بالمحارم أو السرقة خاصة سـرقة اليام أو الحرق العمد...الخ. بمثابة إهانة موجهه لآلا. (٢٣)

وعواقب هذه الأعمال لا تعود علي الفرد المرتكب لهذا العمل المحرم فقط، بل قد تعود بالضرر علي الجماعة ككل، ولذلك وقبل أن يرتكب أي فرد مثل هذه الأعمال المحرمة. يقوم أفراد المجتمع بإجراء طقوس استرضاء وتقديم القرابين لآلا لكي يتجنبوا ما قد يحدث من مخاطر وعواقب تعود عليهم في حالة ارتكاب أي فرد منهم مثل هذه الأعمال (٢٤)

والشخص الذي يرتكب مثل هذه السلوكيات التي تعد بمثابة تابو يجب معاقبته لآن في عقابه تهدأة لغضب إلهه الأرض. والعقوبة قد تصل في بعض الأحيان للطرد من القبيلة أو عقوبة مادية كبيرة، مع القيام بالعديد من الطقوس الصارمة يطلق عليها اسم عمليه « **تطهير الأرض من دنس السلوك المحرم** » مع تقديم بعض القرابين، والتي قد تتمثل في تقديم البيض أو الدجاج أو السلاحف البرية أو السحالي أو الماعز او البقر...الخ. (٢٥)

ويحمل الإيبو كل مشاعر الحب تجاه آلا لانها هي الآخرى لا تحمل لهم سوي هذه المشاعر، فهي التي تمنحهم الخصوبة وتشعر بتواجدهم في كل لحظة، وكل مكان وهم في حقولهم وفي مساكنهم ...الخ.

ولكل هذه المشاعر الطيبة التي يحملها الإيبو تجاه آلا أثر كبير في كثرة المعابد الخاصة بهذه الإلهة في أراضي الإيبو في كل مكان في بيوتهم وميادين قراهم ومدنهم، بل إن أطفالهم يحملون الكثير من التماثيل المنحوته لهذه الإلهة. (٢٦)

ويقدم الإيبو في كل وقت وفي كل مناسبة الشكر لآلا برش النبيذ والماء ودماء الحيوانات المقدمة كقرابين مع تلاوة الصلوات والابتهالات والتوسلات. (٢٧)

ثالثـــاً: الأرواح عند الإيبـو

يمثل الآعتقاد في الأرواح عنصر أساسياً في هيكل الديانه التقليدية عند الإيبو، والذي ينبع من تدخلها في شتى مناحي الحياة عندهم، فالأمراض التي تصيبهم قد تكون ناتجة عن الإصابــة بأحـد الأرواح الشريرة ، وموت الأطفال في أرحام أمهاتهم أو موتهم وهم صغار قد يكون نتيجة عمل بعض الأرواح، والمرأة التي تزوجت ولم تنجب قد يكون السبب في ذلك إصابتها بأحد الأرواح.

كما تتدخل الأرواح في النواحي السياسية والاقتصادية لديهم، فيجب استشارة الأرواح قبل إتخاذ أي قرار سياسي أو اقتصادي، ومعرفة هل ترضي عنه تلك القوي غير الطبيعية أم لا ؟ وغيرها من الأمور الكثيرة.

ويسود الإيبو إعتقاد بأن هذا الكون الذي خلقه شوكوا يتكون من جزئين أساسيين ومتساويين في الحجم هما السماء والأرض.

وتعد السماء كما سبق وأن أوضحت أنها موطن الكائنات السماوية العلوية كالنجوم والشمس والقمر والسحاب والمطر وكائنات أخري كثيرة قد تكون غير معلومة لديهم. كما أنها موطن العديد من الآلهه كإله السماء وإله الشمس وإله البرق (٢٨)

أما الجزء الثاني من هذا الكون وهو الأرض فتنقسم الي جزئين هما العالم الإنساني World of Human وعالم الأرواح The spirit world.

ويشير العالم الإنساني إلي ذلك العالم الطبيعي الذي يعيش فيه الإنسان وتوجد به الظواهر والكائنات الطبيعية الأخري من غابات وحيوانات وطيور وأنهار...الخ.

وعالم الأرواح فهو العالم الذي تعيش فيه الأرواح وهو عالم يكتنفه الغموض وتسيطر عليه الخرافات وتحيطه الأساطير والتي أدت في النهاية إلي وجود تصورين عن مكان هذا العالم فهناك من يري أنه عالم موجود تحت الأرض ويطلقون عليه اسم العالم السفلي.

ويــري أخرون أنه عالم موجود فوق الأرض مما يعطي هذه الأرواح إمكانية التجسيد في بعض الأشياء كالأنهار والتلال والحقول والأشجار...الخ(٢٩)

وعلي الرغـم مــن التناقـض الظاهــري بين وجهتي النظر السابقتين، لكن كل منهمـا يمثــل جزءاً من الحقيقة لآن الأرواح تمـتاز بأنهـا كائنات غير مرئية ومن ثم يمكنها أن توجد في أي مكان تحــت الأرض أو فوقها كما أن كل من التصورين لا يستطيع التأكيد القائم علي الحجـة والبرهــان لصحة إفتراضه ولذا يعتبر كل منهم مجرد افتراض وتصور علمي.

وتعد الأرواح من إحدي مخلوقات شوكوا، ولديها بعض القوي التي منحها شوكوا

لها، وهذه القوي وان كانت تفوق قوي البشر فليست قوي مطلقة بل قوي أقل وأدني من قوي شوكوا وأقل من قوي الألهه الطبيعية التي خلقها شوكوا. (٣٠)

وتتميز العلاقة بين العالم الإنساني والعالم الروحي بأنها علاقة اتصال وليس انفصال. إذ يستطيع بعض البشر أن يزوروا عالم الأرواح ويتصلوا به. كما يعتقد أن لهذه الأرواح القدرة علي زيارة العالم الإنساني بل والعيش فيه ايضاً من خلال تجسيدها داخل الأشجار والأنهار والجبال والكهوف والبحار والغابات...الخ. (٣١)

ولذا تحتل كل هذه الأشياء قدراً كبيراً من الخصوصية ليست في ذاتها وإنما خوفاً من وجود الأرواح بها، وبالتالي قد يتعرض أي فرد للضرر والعقاب إذا ما اقترف سلوكاً لا ترضي عنه الروح الموجودة في هذا المكان أو ذاك، وذلك علي النقيض مما اشار إليه البعض بدون دقة إلي أن الافريقيين يعبدون الأشجار أو الأحجار أو غيرها عند رؤيتهم لهم وهم يمارسون العبادة عندها أو يتقربون إليها. (٣٢)

والأرواح الموجودة في معتقدات الإيبو كثيرة ومتعددة ويمكن توضيح بعضها علي النحو التالي:

1- الروح الإنسانية:

ينظر الإيبو للإنسان علي انه يتكون من جسد وروح، يمثل الجسد تلك الأعضاء البيولوجية في الإنسان، اما الروح فهي ذلك الجزء غير المادي Immaterial في الإنسان.

ويمكن لهذه الروح أن تغادر الجسد الإنساني أثناء النوم في بعض الأحيان، وتفارقه نهائياً في حالة الموت. (٣٣) ويطلق علي هذه الروح في بعض الأحيان اسم النفسSoul

2- الروح الحارسة أو "«تشي» Chi"

كلمة تشي كلمة توجد علي شفاة كل فرد من أفراد الإيبو. ونادراً ما توجد جماعة قرابية داخل الإيبو دون أن يشكل لفظ تشي جزء من اسم أحد أفرادها. (٣٤)

ويشير « أشيبي » C.Achebe (٣٥) إلي أهمية تشي في فهم المعتقدات الدينية عند الإيبو بقوله إنه بدون فهم طبيعة تشي عند الإيبو فإنه يصعب فهم وتحديد رؤية الإيبو لهذا الكون.

فكلمة تشي تدخل في تكوين اسم شوكوا، فكلمة Chukwa هي عبارة عن Chi-ukwu وكلمة Chineke هى عبارة عن Chi-na-eke وهي كلمة مكونة من مقطعين ورابطة، حيث تشير Chi الي الإله وكلمة Eke تشير الي فعل الخلق

والرابطة Na تعني حرف العطف « و» (٣٦)

ويشير « الوجو» Ilogu الي ان الإيبو يعتقدون أنهم خلقوا بواسطة تشوكوا أي Chi-Na-Ek، أي الإله الخالق.

وعند ميلاد أي فرد من أفراد الإيبو يعتقد أن شوكوا قد منح هذا الشخص جزءاً من طبيعته اللاهوتية وهي تشي، فتشي هي الشرارة المقدسة Divine spark التي وضعها شوكوا داخل كل إنسان. (٣٧)

ونتيجة لكثرة استخدام لفظ تشي وتداخلة في العديد من المفردات اللغوية عند الإيبو أشار اليه الباحثون بالعديد من المسميات "مثل: الملاك الحارس ، الروح الشخصية والروح الحارسة" وأنه يمثل النفس Soul وأنه يعد بمثابة روح مزدوجة Spirit Double وغيرها من المسميات (٣٨)

ويعتقد الإيبو بأن تشي هي الروح الثانية للإنسان والتي توجد في عالم الأرواح وتتكامل مع روحه الأولي في العالم الإنساني ووظيفتها الأساسية حماية وحراسة صاحبها (٣٩)

ولذا يردد الإيبو عبارة Ikbe Amara Wwa Ogdenwe Amara Ya Chi Ya بمعني أن تشي تلك الروح الحارسة هي المسئولة عن الإنسان وعن ظروف حياته.

وترتبط تشي بالفرد تمام الإرتباط ولذلك لا يستطيع الفرد أن يفر أو يتخلص من تشي الخاصة به سواء كانت خيرة أو شريرة لأن شوكوا هو الذي أعطاه أياها. (٤٠)

وطالما أن شوكوا هو الذي أعطي تشي لهذا الفرد فلا يستطيع أي شخص أن يغيره أو يقدم الضرر لآي شخص أخر ويردد الإيبو عبارة Namu ma ofu chi ada eke ofu nna بمعني أنه إذا كانت الأم واحدة لأطفالها فإن كل طفل من هؤلاء الأطفال له تشي خاص به. (٤١)

وبذلك يقدم تشي إطارا تصوريا يفسر الإيبو من خلاله الاختلافات الفردية التي توجد فيما بينهم فهناك الغني وهناك الفقير وهناك الصحيح والمعتل لآن تشي هو المتحكم الأوحد في أقدارهم فهو المتحكم في فشلهم ونجاحهم وفي كل شئون حياتهم. (٤٢)

وعلي الرغم من أن تشي تعتبر روح فإنها لا تقطن في عالم الأرواح تحت الأرض مع الموتي والأسلاف لكنها تعيش فوق في مكان بالقرب من الشمس ويمكن إستحضارها منه، بشرط أن يقام لها معبد خاص بها علي الأرض. (٤٣)

ويستطيع أي فرد في قبيلة الإيبو أن يقيم هذا المعبد الصغير لتشي الخاص به بشرط أن يكون بالغاً، فالرجل يمكنه القيام بذلك بعد أن يتزوج والمرأة بعد أن تنجب. (٤٤)

ويقوم الكاهن باستحضار هذه الروح من وجه الشمس the face of sun وذلك في مطلع النهار وخاصة عند الشروق ويظل هذا المعبد قائما يتقرب فيه الشخص لتشي ويقدم له القرابين طوال حياته، لكن عند موت هذا الفرد لابد من تدمير المعبد الخاص بتشي. (٤٥)

وذلك لتصعد هذه الروح عن العالم الإنساني خشية أن تصيب أحد بسوء. حيث يعتقد الإيبو أنه حينما يموت هذا الفرد تعود تشي الي خالقها شوكوا لكي يحاسبها عما إقترفته من أعمال علي ظهر هذه الأرض. (٤٦)

3- روح اليـــام

اليام نبات إستوائي يشبة نبات البطاطا وهو من النباتات الدرنية ويعد اليام وجبة غذائية هامة في أراضي الإيبو. (٤٧)

وتعتبر روح اليام أو ابنجوكا Abanjoku من الأرواح القوية التي تتمتع بإحترام كبير عند الإيبو.

وتطلق النساء علي هذه الروح إسم Wanyidim أي الزوجة الأخري، لأنها تتحكم في سلوك النساء في المنزل والحقل ، وفي أي أماكن تخزين اليام، فتجبر النساء علي عدم رفع اصواتهن لآن هذا يغضب روح اليام، وإذا خالفت إحداهن هذه التحذيرات أو أكلت اليام قبل أن تسترضي روح اليام فيعتقد الإيبو أنها ستصاب بالدوسنتاريا أو الكوليرا.

وتمنع روح اليام حدوث معارك أو مشاجرات في الحقل، وإذا حدث ذلك فيجب أن تكسر بيضة في الموضع الذي حدث فيه الشجار ويطلب العفو من روح اليام.

ويقدم كل مزارع في أراضي الإيبو حوالي ثلاثة قرابين خلال كل دورة زراعية لروح اليام. الأولي تقدم في بداية موسم الزراعة والثانية تقدم في بداية موسم الحصاد والثالثة تقدم في نهاية موسم الحصاد. (٤٨) كنوع من التقرب لهذه الروح، التي يعتقد أنها تؤثر علي محصول اليام، فغضبها يصيب المحصول بالأذي، واسترضائها يعني إنزال البركة علي هذا المحصول.

ولا يأكل الكهنة من اليام الجديد الا بعد ان تقدم هذه الأضحيات الي روح اليام حيث يقام احتفال كبير يشترك فيه كل أفراد الجماعة القرابية، وعادة ما تستعد القرية كلها لهذا الإحتفال لتقديم الشكر والعرفان لروح اليام وذلك بعد عملية الحصاد.

4- الأرواح الخيــرة

يضاف للأرواح السابقة بعض الأرواح الأخري التي يمكن وصفها بأنها أرواح خيرة، وهي كثيرة في معتقدات الإيبو والتي من بينها روح الثروة أو إمباتاكا Mbataku كما يقول الإيبو.

ويعتقد أن هذه الروح هي المسؤلة عن الثروة، ويستعان بها لكي توفقهم في تجارتهم وتحافظ علي ثروتهم.

وإذا عزم أحد أفراد الإيبو علي السفر فعليه أن يقدم في البداية قرباناً لهذه الروح، وإذا حقق السفر الغرض منه كان ذلك لزاماً لتقديم قربان أخر لهذه الروح شكراً وعرفانا لها علي العون الذي قدمته له.

ومن الأرواح الخيرة الأخري روح الطبل أو إكورو Ikoro وهي روح تمثل قوة الجماعة. ويتمثل دورها في جلب النصر للقبيلة في حال الحروب مع الأعداء.

وفي أوقات السلم يقتصر دورها علي الاحتفالات الهامة حيث تقرع الطبول في هذه الاحتفالات وفي الأحداث الهامة داخل قبائل الإيبو. (٤٩)

5- الأرواح الشريرة

الأرواح الشريرة. أرواح تقف علي النقيض من الأرواح الخيرة حيث يعتقد الإيبو في وجود ارواح ة علي إلحاق الأذي بهم وبأطفالهم وثرواتهم.

ومن بين هذه الأرواح روح اكالوجيلي Akalogeli وهي روح جائلة Wandering Spirit تمثل أرواح الأفراد الذين لم يجر لهم طقوس جنائزية بعد وفاتهم, حيث يعتقد أن أرواح هؤلاء الأفراد أرواح متجولة، لآنها غير قادرة علي أن تصل الي عالم الأرواح وتستقر فيه، فتظل جائلة ويظل هؤلاء الأفراد غير مستقرين في مرقدهم وساخطين في قبورهم.

وهؤلاء الأفراد أصحاب الأرواح المتجولة هم في الغالب الأفراد الذين لم ينجبوا اطفالاً، ولم يكن لديهم وفرة من المال يعطوه لغيرهم ليقوموا بعمل الطقوس الجنائزية الخاصة بهم بعد موتهم.

ومن الأرواح الشريرة روح الأوجبنك Ogbonuke وهي روح ترتبط بالأفراد الذين ماتوا وهم في سن صغيرة ولم يتمكنوا من تحقيق أحلامهم وأمانيهم قبل وفاتهم، ولذا يعتقد أن أرواحهم غاضبة وساخطة.

ومن الأرواح الشريرة الأخري روح الأوجبانجي Ogbanta وهي روح تعاقب بعض الأباء والأمهات بأن تحرمهم من الإنجاب عن طريق الموت المتكرر لاطفالهم في رحم امهاتهم.

ولا تقتصر الأرواح الشريرة علي تلك الأرواح السابقة فقط بل يوجد أرواح

كثيرة منها ما هو معلوم ومنها غير معلوم لدي الإيبو، لكنها في مجملها تعمل علي إلحاق الأذي بأفراد الإيبو ولذلك يحاول الإيبو علي الدوام مواجهة مثل هذه الأرواح وما ينجم عنها من أذي وضرر بتقديم القرابين لهذه الأرواح، بغرض درء الأذي واسترضاء هذه الأرواح، لأن الأفراد في حياتهم قد يقومون ببعض الأعمال التي تغضب هذه الروح أو ذاك دون علم أو دراية من هذا الشخص، ولذا تقدم القرابين علي الدوام، والذي يحدد هذه القرابين ونوعيتها وكيفية تقديمها...الخ هم العرافون Diviners (٥٠) وليس الكهنة لأن الكهنة لا تقدم القرابين إلا إلي الآلهة.

رابعاً: الأســلاف عنــد الإيبــو

للأسلاف أهمية بالغة في حياة المجتمعات الأفريقية، والتي تصل في بعض منها لدرجة العبادة. مما دفع العديد من العلماء لدراسة هذه الظاهرة والوقوف علي أبعادها ووظيفتها...الخ.

ومن ثم ظهرت بعض الدراسات التي تؤكد في طياتها وجود نمط من الديانات الإنسانية يتمثل في عبادة الأسلاف وينتشر في معظم المجتمعات التقليدية.

وبذلك وجد مصطلح عبادة الأسلاف صدي عند بعض العلماء والباحثين وأصبح موضع اهتمام الكثيرين منهم أمثال « سبنسر» و « تايلور» و « فورتس» و «واليس» وغيرهم، منذ أواخر القرن التاسع عشر وحتي الأن.

فلقد تحدث «هربرت سبنسر» في كتابة مبادئ علم الاجتماع سنه 1877 عن عبادة الأســلاف واعتبرها الأساس والقاعدة التي بدأت منها الأديان في طريقها للتطور. ورأي أن عبادة الأســلاف بدأت في البداية من تعظيم منزلة الأسلاف والوصول بهذه المنزلة لدرجة التاأية.

و«مير فورتس» Meyer fortes في دراسته عن التالنس Tallensi سنه 1959 وجد أن سلطة الأسلاف أكبر من سلطة الأفراد علي بعضهم البعض داخل القبيلة. لآن التالنسي يعتقدون في أن السلطة التي يتمتع بها أباؤهم حصلوا عليها في الأساس من أسلافهم، وأن الأبناء سيحصلون عليها من أبائهم وهكذا.

وعلي ذلك يري فورتس أن وظيفة عبادة الأسلاف هي في الأساس تأكيد وتدعيم سلطة كبار السن داخل المجتمع. (٥١)

وانبثق عن هذه الدراسات وغيرها العديد من وجهات النظر حول هذه الظاهرة، فهناك من أكد علي أنها تعتبر عبادة للآسلاف إنبثقت من علو منزلة كبار السن في هذه المجتمعات،وأنها تعد من أليات الضبط الإجتماعي بداخلها، ووضعوا السمات التي تشكل في مجملها الملامح الأساسية لهذه العبادة والتي تمثلت في.

1- عبادة الأسلاف لا تعتبر ديناً في حد ذاتها ولكنها تدخل ضمن النسيج الكلي للمنظومة الدينية في هذه المجتمعات.

2- وجود تلازم في الظهور بين عبادة الأسلاف والجماعات القرابية، حيث يقترن وجود هذه العبادة بوجود الجماعات الإثنية الي حد كبير.(٥٢)

لأن الأديان التقليدية تعتقد في الحياة بعد الموت بشكل او بأخر، وتعتقد أن المتوفي تستمر حياته في عالم الأرواح ويتصل بأقاربه الأحياء ويستمر في رعايته لهم كما كان الحال قبل وفاته. (٥٣)

3- تنظر هذه المجتمعات للأسلاف علي أنها تمتلك قوة مساوية لتلك القوة التي

تمتلكها الألهة. ومن ثم فلها نفس المكانه والتأثير والنفوذ في المجتمع مثل الألهه. لأن أرواح الأجداد الموتي يمكنها أن تؤثر في مجري حياة الأفراد، ولذا تهدف هذه العبادة الي تشجيع أرواح الأجداد علي حماية ومعاونة الجماعة.(٥٤)

وعلي النقيض مما سبق يعترض بعض الباحثين علي استخدام مصطلح عبادة الأسلاف ويؤكدون علي أن ما يحدث في هذه المجتمعات هو تقديس لأرواح الأجداد وليس عبادتها. فهي لا تخرج عن كونها إيماناً بإستمرار حياة الروح بعد الوت مع أهمية الدور الذي يلعبه الأجداد في حياة الأفراد سواء كانوا أحياء أو أمواتاً.
ولـذا يـري هـذا الفريق أن التعبير الأدق في وصف هذه الظاهرة هو تبجيل واحترام الأسلاف. (٥٥)

ومجتمع الإيبو شأنه في ذلك شأن معظم القبائل الأفريقية، تلعب الأسلاف دوراً شديد الأثر في حياته الروحية.

ويطلق الإيبو علي أسلافهم أسم أنديش Ndichi واصفين اياهم بالموتي الأحياء لانهم - وإن كانوا قد فارقوا هذا العالم الإنساني بالموت - أحياء في عالم الأرواح.
والأسلاف في تصور الإيبو هم هؤلاء الأفراد الذين يجسدون عالم الأرواح وفي ذات الوقت فهم منحدرون من العالم الإنساني. (٥٦)

ولذا ينظر الإيبو لإسلافهم أنهم أعضاء مكملون لعائلاتهم علي الرغم من كونهم في العالم الأخر فهم يعتبرون اعضاء غير مرئيين لعائلتهم (٥٧)

ويعتقد الإيبو في إعادة تجسيد روح السلف مرة أخري من خلال الأجنة في أرحام أمهاتهم، حيث تعتبر عملية الحمل لدي المرأة عند الإيبو ما هي إلا بداية لعملية تجسيد جزء من روح السلف الموجودة في عالم الأرواح، فتتجسد في رحم الأم ثم تخرج في شكل طفل صغير علي شكل إنسان.

ولذا ينظر الإيبو للوجود الإنساني علي أنه وجود يمر بثلاث مراحل تعرف بثالوث الإيبوThe igho trinity وهي:

المرحلة الأولي: وهي المرحلة التي يبدأ وينتهي فيها الوجود الإنساني في عالم الأرواح، لأن الإنسان في بدايته لا يكون سوي روح وحينما يفارق الحياة لا يكون سوى روح.

المرحلة الثانية: وهي المرحلة التي تتجسد فيها الروح في رحم الأم.

المرحلة الثالثة: وهي المرحلة التي تبدأ بلحظة ميلاده ووجوده علي الأرض كجزء من العالم الإنساني. (٥٨)

وبمجرد ميلاد الطفل تجري الاستعدادات الخاصة بإقامة معبد صغير خاص بروح السلف في منزل الأب وهو معبد لا يقام سوي مرة واحدة علي الأقل مع ميلاد الابن الأكبر من الذكور، حيث تأخذ القرابين الي قبور الموتي من الاسلاف وتقدم الصلوات القرابين اليهم ويطلبون من السلف ان يتبعوهم الي منزلهم. (٥٩)

ولذا تعد العلاقة بين الإيبو وأسلافهم علاقة وثيقة وممتدة فالخلف ما هو إلا امتداد للسلف، والسلف ما هو إلا أصل وجذر للخلف، لكن هذه العلاقة ليست أحادية الجانب بل علاقة تبادلية يتحقق فيها النفع والمصلحة لكل منهما، حيث تقدم القرابين لأرواح الأسلاف بصفة دائمة وفي كل مناسبة، فقبل أن يتناول أي فرد من أفراد الإيبو شرابه من خمر النخيل "Palm wine" يقوم بسكب القليل منه علي الأرض احتراماً وتقديراً للأسلاف. (٦٠)

وفي المقابل من ذلك يطلب الإيبو الحماية والرعاية من أسلافهم الذين يعتبرون بمثابة شفعاء ووسطاء بينهم وبين ألهتهم، وذلك للعيش في أمان وسكينة وفي رغد من العيش، لآن الآسلاف تتمتع بقدر كبير من البركة تقوم بغدقها علي من تشاء من أبناء الإيبو فتحل هذه البركات عليهم وعلي أبنائهم وثرواتهم فيعيشون عيشة هانئة.

وكما تستطيع الأسلاف إنزال البركة علي من تشاء تستطيع أيضاً إنزال العقاب والسخط علي من تشاء من أبناء الإيبو. (٦١)

وينظر الإيبو لأسلافهم علي أنهم حامو حمي عادات وتقاليد وتاريخ القبيلة، وأي خروج علي هذه العادات والتقاليد يعمل علي غضب الأسلاف مما قد يلحق الخراب والدمار علي القبيلة كلها. (٦٢)

وفي ظل هذه المنظومة الدينية للآيبو يبدوا مدي أهمية الدور الذي تقوم به كل هذه المعتقدات السائدة حول السلف في تدعيم الأطار الكلي للهوية الإثنية عند الإيبو، حيث تعمل هذه المعتقدات علي خلق قدر كبير من الأرتباط التتابعي بين الأجيال المتعاقبة في قبيلة الإيبو في ظل هيمنة كبيرة لدور كبار السن لتأكيد وتدعيم العادات والتقاليد والأعراف السائدة داخل القبيلة حرصاً علي إسترضاء روح السلف.

خامساً: عصا الأسلاف المقدسة Ofo:

يلعب الرمز الديني دوراً بالغ الأهمية داخل كل دين من الأديان ولا تقل أهميته عن المعتقد أو الطقس داخل الدين، لآن من شأنه توحيد معتنقي هذا الدين أو ذاك علي الرمز الديني بما ينطوي عليه هذا الرمز من معتقدات، وكلما تجسد الرمز في شكل مادي كان تأثيره هو أقوي علي معتنقيه.

وعصا الأسلاف المقدسة أو كما يطلق عليها الإيبو اسم "أوفو ofo" ليست روحا أو إلهاً، بل هي رمز مقدس لنفوذ الأسلاف في أراضي الإيبو من جيل لأخر.

وتحدث "أوفو" من الناحية الرمزية نوعاً من الترابط المتسلسل والمتعاقب بين شوكوا والبشر، لآن شوكوا صاحب الفضل الأول في خلق البشر ولا يُخلق أي شئ بدون إذنه أو بإرادته. كما تحدث ترابط بين الأسلاف والأحياء الموجودين، وتحدث ترابط أيضاً بين الأحياء الموجودين والأطفال اللذين سينجبون في المستقبل لآن روح السلف تقطن في بعض الأحيان داخل هذه العصا.

وتوجد لكل عائلة من عائلات الإيبو "أوفو" خاصة بأسلافها. ومع تعاظم وكبر حجم العائلة ووجود قدر من الاستقلال فيما بين هذه العائلات يصبح لكل منها "«أوفو"» خاص بأسلاف كل منها مع وجود الأوفو الأولي التي تصبح "أوفو" العشيرة كلها، ولا تدخل إلا في الطقوس الخاصة بالعشيرة ككل، وبذلك يصبح لدي الإيبو "أوفو" لكل عائلة ولكل عشيرة ولكل قبيلة. (٦٣)

ولا تؤخذ "الأوفو" من أي شجرة ولكن تؤخذ من شجرة خاصة، يعتقد أن روح السلف تذهب إليها وتوجد فيها ولا يستطيع أي فرد أن يقطع هذه الشجرة أو أي غصن منها بطريقة متعمدة، لأنه يوجد لدي الإيبو اعتقاد بان شوكوا خلق الشجرة التي يؤخذ منها الأوفو بغرض أن تكون شجرة مقدسة، ولذلك تتساقط أغصان هذه الشجرة ولا يحق لاحد أن يقطعها بأي من الأحوال.

وحينما يؤخذ الغصن لعمل « أوفو» فإنه يؤخذ بطريقة تتسم بقدر كبير من القدسية لأنه يعتقد أن أرواح الموتي من الأسلاف تقطن هذه الأغصان.(٦٤)

ولذلك تلعب الأوفو دوراً كبيراً في وجدان الإيبو ولها قدر كبير من القوة والقداسة كما أنها رمز للوحد والحق وعدم الفناء للجماعة.

سادساً: الطقوس الدينية في أراضى الإيبو:

تؤكد الخبرة الدينية المباشرة وجود حالة انفعالية تصل في شدتها حدا يستدعي القيام بسلوك ما من أجل إعادة التوازن إلي النفس والجسد اللذين غيرت التجربة الدينية من حالتهما الاعتياديه. ولعل الإيقاع الوسيقي والرقص أول أشكال هذا السلوك الاندفاعي الذي تحول تدريجياً الي طقس مقنن. ويترافق تقنين الطقس وتنظيمه في أطر محددة وثابتة مع تنظيم التجربة الدينية وضبطها في معتقدات واضحة يؤمن بها الجميع.

وإذا كان المعتقد يرسم صور ذهنية واضحة وقوية التأثير في عالم المقدسات، فإن هذه الأفكار لا تستطيع بمفردها صنع دين مكتمل الأركان، ولذلك يمثل الطقس قاسماً مشتركاً مع المعتقد في تشكيل المنظومة الدينية الكلية للدين. (٦٥)

ويدخل في تكوين الطقس الديني العديد من العناصر:منها الإيقاع الموسيقي والرقص وارتداء الأقنعة، وما يتبع ذلك من القيام ببعض العبادات الدينية المتمثلة في الصلوات والابتهالات وتقديم القرابين. ويمكن أن نتناول بعضها علي النحو التالي:

١- الأقنعة عند الإيبــو:

يستخدم الإيبو ألاف الأقنعة التي تجسد عدداً غير محدد من الأوراح داخل هذا المجتمع، ولذا تطلي هذه الأقنعة بالطباشير الأبيض Chalk white رمزاً للارواح، وتصنع هذه الأقنعة في الغالب من الخشب أو الأقمشة Fabric. (٦٦)

والأقنعة غير قاصرة علي قبائل الإيبو فقط، بل توجد في معظم مجتمعات غرب أفريقيا فهي تقوم بدور ديني وجمالي معاً في هذه المجتمعات.

ويصنع القناع لحماية حاملة فالغرض من القناع هو أن يمتص قوة الحياة التي تخرج من الإنسان أو الحيوان لحظة موته، فالقوة الحية المنطلقة لحظة الموت تكون هائمة وتشكل إرهاقاً للاحياء يظهر في اضطراب وجوههم، ويمكن للاقنعة اصطياد واستغلال هذه القوي وعندئذ يمكن توزيعها لأجل الصالح العام، وتحمي الأقنعة ايضاً الراقص خلال أداء الشعائر من الألات التي يتعامل معها.

ومع أن الأقنعة مصممة لكي تحمي حاملها من أن تحل بداخله الروح التي يتقمصها، لكنها في نفس الوقت يمكنها الإمساك بقوة هذه الأرواح، ولذلك فأي إخلال بقواعد ارتداء القناع يعرض الراقص لإحلال هذه القوي بداخله.

ومن جهة أخري فإن القناع نفسه يكون مكان لإستقرار تلك القوي الحيوية. والراقص الذي لا يستطيع تحمل هذه القوي يكون عرضه لهجومها عليه، والذين يرتدون الأقنعة يعرفون ما الذي يجب عليهم عمله أثناء إرتداء الأقنعة، وكذلك المحاذير التي تسبق ارتداؤها. (٦٧)

وبذلك تحمل الأقنعة داخل قبيلة الإيبو قدراً من الرهبة، ويحيطها هالة من القدسية، فلا يقوم بإرتدائها سوي بعض الجماعات السرية التي تشترك في الاحتفالات الخاصة بالمحاصيل الزراعية والطقوس الجنائزية وغيرها من الاحتفالات الخاصة بالقبيلة وتحفظ في أماكن محددة أشبه ما تكون بالمعابد الصغيرة. (٦٨)

٢- العبادات الدينية Religious Worships

تجـري العبــادات الدينية في قبيلة الأيبـو كل يوم، وتؤدي بالنيابة عن العائلة وبالنيابة عـن الجماعة القروية ككل، فالأب يقدم الصلوات كل صباح بالنيابة عن باقي أفراد عائلتــه. (٦٩)

وتنقسم العبادات الدينية في أرض الإيبو الي قسمين هما:

أ - العبادات الخاصة Private Worship

ب- العبادات العامــة Public Worship

أ- العبادات الخاصة:

- يقسم إلوجو Ilgu هذا النمط من العبادات إلي قسمين هم:
- الأول: العبادات المعتادة.
- الثاني: العبادات العرضية.

أولاً : العبادات المعتادة Routine Worship

وهي عبارة عن عبادة تقدم بشكل دوري كل يوم من خلال زعماء الوحدات القرابية وتقدم في الغالب إلي الأسلاف في المعابد الخاصة بهم.

ويستخدم الزعيم في هذا النمط من العبادة بعضاً من طعام «الكولانت» Kolanut وهو طعام يصنع من البذور الداخلية لفاكهة الكولا، ويستخدم مع هذا الطعام إحدى أنواع الطباشير الأبيض لكي يرسم به بعض الخطوط الضرورية في هذا النوع من العبادة.

وتمثل الصلاة Prayer جزءاً كبيراً من هذه العبادة والتي يسأل فيها زعيم العائلة من شوكوا أن يحميهـم وينعـم عليهم بالاستقرار والرخاء رافعاً الأوفو ofo إلي أعلي في كل مرة.

ثانياً : العبادة العرضية Occasionally Worship

يقدم هذا النمط من العبادات بناء علي ضرورة خاصة بالوحدة القرابية كالكوارث

والنكبات...الخ.

وقد تقدم هذه العبادة شكراً وعرفاناً بفضل الألهة، حيث يذهب زعيم الوحدة القرابية إلي كاهن هذا الإله ويفعل كل ما يطلبه الكاهن في هذا الصدد.

ويري الكهنة في أراضي الإيبو ضرورة أن تقدم مثل هذه العبادات في الحالات والظروف التالية:

- طلب الفضل والإحسان والرعاية من أرواح السلف.
- طلب الحماية من الأرواح الشريرة والسحرة وأتباعهم.
- طلب الشفاء من مرض أو التطهير من دنس نتيجة أكل بعض الحيوانات المحرمة.
- استعطاف أرواح السلف الغاضبة أو استعطاف ألهة غاضبة.
- الرغبة في الإنجاب أو الحصول علي أموال وزيادة في الثراء...الخ.

وتعتمد طبيعة العبادة في هذا النمط من العبادات علي طبيعة الحدث والظروف، وفي كل طلب لهم من الآلهه أو الأسلاف، يقولون احمنا من الأمراض ضاربين. بالأوفو ofo علي الأرض قائلين e-haa-aa أي آمين.

ب- العبادات العامة.

تنقسم العبادات العامة هي الأخرى إلي عبادات عامة خاصة بالعائلة أو البدنة وعبادات عامة خاصة بالعشيرة كلها أو القرية.

ولا يعني هذا التقسيم وجود إختلاف في مضمون هذه العبادة، لكن الاختلاف هو اختلاف الإطار الذي تقوم فيه هذه العبادة عماً إذا كانت قاصرة علي العائلة فقط أم تشمل العشيرة او القرية ككل.

وتؤدي هذه العبادات بصفة سنوية أو نصف سنوية، حيث يحضر الكثيرون من أبناء العائلات والبدنات والعشائر لكي يحتفلوا بهذا الإله أو ذاك، لكن أشكال وعناصر هذه الاحتفالات وما يؤدي فيها من عبادات قد يعتريه قدر من الاختلافات المحلية بين قبائل الإيبو. (٧٠)

٣- القرابين عنـد الأيبـو:

تقوم فكرة القربان فيما يقول «هامند » P.Hammand علي أن الشخص قد يتخلي أو يدمر شيئاً ذا قيمة من أجل أن يرضي الكائنات العليا أو الأسلاف، وهذا يعزز ويقوي علاقته بهم، فكما أن الصلاة هي دعاء أو سؤال للإله كما لو كان إنساناً كذلك يعتبر القربان بمثابة هدية تقدم للإله كما لو كان إنساناً. (٧١)

وتقدم القرابين لعديد من الأغراض عند الإيبو تتمثل في:

1- القربان ككفارة:

يقدم الإيبو هذا النوع من القرابين كنوع من التكفير عن ارتكاب أي عمل محرم يتم ارتكابه خاصة ضد آلهة الأرض أو ضد الأسلاف أو حتي ضد أي فرد من أفراد العشيرة.

ومن بين هذه الأعمال المحرمة إنجاب تؤءم أو القتل العمد او الزنا أو الانتحار أو السعي إلي الفسق والفساد في اراضي الإيبو.

وتقدم القرابين في هذه الحالة ككفارة عن هذا العمل المحرم، ويكون القربان عبارة عن دم كذبح الدجاج أو الضأن أو الماعز أو الأبقار. حيث تتوقف نوعية القربان علي حسب نوع الفعل المحرم ومدي خطورته.

2- القربان كحماية من القوي الشريرة غير المعروفة:

ويقدم هذا النوع من القرابين لدرء خطر هذه القوي المجهولة بالنسبة للأيبو والتي قد تسبب مخاطر علي حياة الأفراد داخل القبيلة.

ويقدم هذا النوع أيضاً في حالة استمرار سوء الحظ لأحد الأفراد، والفشل وخيبة الأمل بشكل دائم، حيث يعتقد أن السبب في ذلك هو الإصابة بإحدي القوي الشريرة، والتي يجب تقديم القربان لها لكي تترك هذا الفرد.

3- القربان كشكر علي العطاء.

يعد هذا النوع من القرابين هو الأكثر شيوعا عند الإيبو حيث تقدم القرابين لشوكوا والألهة الطبيعية والأسلاف عرفانا وشكرا علي عطاياهم، وعلي البركة التي أنزلوها علي أطفالهم، ومحاصيلهم وزيجاتهم الجديدة، وعلي الصحة الجيدة والعمر الطويل...الخ.

وتقدم هذه القرابين في العادة في ظل طقوس جماعية وفي احتفالات خاصة تجري

اسبوعياً أو شهريا ًأو سنوياً، حيث يعتقد الإيبو أن تقديم مثل هذه القرابين يجعل شوكوا والألهة والأسلاف راضين عنهم ومن ثم يزداد العطاء وتكثر البركة. (٧٢)
سابعاً: الطقوس الجنائزية والحياة بعد الموت عند الإيبـو:

يرتبط حاضر الإنسان بماضيه، كما يرتبط بمستقبله، يهدده العدم ويدرك تماماً أياً كانت ثقافته أن نهايته محتومة بالموت، ومن ثم فإن كل الشعوب تواجه تلك الحقيقة البيولوجية وما تثيره من تساؤلات ومشكلات، وماذا يحدث بعد الموت، هنا تبرز أهمية ودور الدين الذي يقدم للإنسان في العاده المفاهيم والتفسيرات المرتبطة بهذه الحقيقة. (٧٣)

ولا يعتبر الموت عند الإيبو نهاية الوجود بل يعد نهاية لاحدي مراحله وبداية لمرحلة جديدة للمتوفي، لذا يتغني الإيبو في بعض أغانيهم الخاصة بالطقوس الجنائزية واصفين الموت بأنه انتقال لعالم الأرواح ويتغنوا أيضاً واصفين الحياة الدنيا بالسوق الذي حضره الأنسان باع واشتري ثم رحل وتركة. (٧٤)

والموت عند الإيبو هو موت للجسد فقط وليس للروح، لآن الروح لا تموت بل تظل باقية وخالدة، لآنها ستعود مرة أخري للحياة، مما يعطيهم الأمل في إمكانية أن يحقق الإنسان ما كان يتمناه في حياته الأولي ولم يستطع تحقيقه.

وتذهب روح الميت الي عالم الأرواح حيث أرواح الأسلاف، ولكي تذهب هذه الروح إلي عالم الأرواح وتستقر فيه ولا تتحول الي روح غاضبة وساخطة فلا بد من إجراء الطقوس الجنائزية للمتوفي.

فحينما يتوفي فرد من أفراد الإيبو يقوم ابنه الأكبر بوضع أربع ثمرات كبار من نبات اليام علي سطح المسكن، ثم يصعد الكاهن ويأخذهم، ويضع إثنين منهم عند قدميه ويضع الأخرتين تحت جانبي المتوفي، قائلاً له : عندما تعود قد يكون محصول اليام عندك كبير مثل هذه الثمرات. ويطلق علي هذه الشعيرة اسم وضع اليام في اليد.

ويتبع ذلك شعيرة أخري وهي « تبيض الوجه » - ولا يعني تبيض الوجه من الناحية الفيزيقية ولكن من الناحية الروحية أي بمعني مسحه من الخطايا - وذلك بوضع ديك Cock فوق رأس المتوفي ويقدم كقربان وتأكل منه كل النساء الحاضرات

وبعد ذلك يغسل الجسد ويوضع علي أوراق النباتات مرتدياً ثيابه الجميلة. ومن الممكن تقديم قربان اخر يتمثل في "كلب" يوضع من دمائة علي أعين المتوفي.
وأخيراً يوضع المتوفي علي سجادة يلتف بها ويدفن في المنزل أو في المكان الم المخصص للدفن عند وحدته القرابية.

وفي الوقـت الحاضر أصبـح في الغالب يتم وضع المتوفي في تابوت ويدفن في

مقابر الموتي. (٧٥)

وبعد ذلك يهدم المعبد الخاص بتشي الخاص بهذا المتوفى لتعود تشي إلي خالقها شوكوا فيحاسبها عما اقترفته من أعمال علي ظهر هذه الأرض، لأن الإيبو يعتقدون في وجود الثواب والعقاب بعد الحساب. (٧٦)

ثامنا: رجال الدين التقليدى

يشير « نوالا » Nwala إلي ان أهم شخصية دينية في حياة الإيبو هي شخصية الكاهن Priest فالكاهن هو الزعيم الروحي عندهم.

والكهنة عند الإيبو نمطان هما:

- النمط الأول: كهنه بالوراثة من خلال مركزهم في عائلاتهم.
- النمط الثاني: كهنة تختارهم الألهه لخدمتها. (٧٧)

أ- النمط الأول من الكهنة.

ويتمثل هذا النمط في زعيم العائلة، حيث يتميز هذا الزعيم في اراضي الإيبو بتعدد الأدوار التي يقوم بها داخل عائلته، فبالإضافة لدورة السياسي والاقتصادي كزعيم للعائلة يناط إليه الدور الكهنوتي أيضاً ليصبح بذلك زعيم روحي لعائلته.

ويتطلب الدور الكهنوتي لهذا الزعيم أن يكون علي دراية بالعديد من الأعمال مثل معرفة الأعمال الكهنوتية من صلوات وتقديم قرابين للأسلاف وغيرها من الأعمال مثل المعرفة بالأعشاب والنباتات التي لها صلة بهذه الأعمال.

ويضيف « إلوجو» Ilogu لدور الكاهن بالوراثة بعض الأدوار الأخري التي يجب أن يكون محيطاً بها مثل العمل علي طرد الأرواح الشريرة وصناعة الدواء للوقاية من الأذي والضرر وعمل التعاويز لجلب الحظ والثروة. (٧٨)

ويشير « نوالا » إلي دور كبار السن ككهنه بالوراثة في أراضي الإيبو بأنهم هم المتحكمون في معابد الأسلاف الخاصة بعائلاتهم ويقومون بتقديم الصلوات وسكب قرابين الخمر بصفة يومية كل صباح لهؤلاء الأسلاف سائلين الخير والعطاء والبركة لهم ولعائلاتهم ودرء الأذي من المجهول.

ب- النمط الثاني من الكهنة.

ويتمثل هذا النمط في الكهنة المتخصصين في أمور الدين التقليدي عند الإيبو، وهم كهنة تقوم الألهه بإختيارهم ليقوموا بخدمتها. ومن ثم يصبح لكل إله من الألهه كاهن خاص به، ويقوم المتخصص بالعمل الكهنوتي لديه باستقبال القرابين ويقوم

بإعداد الطقوس الضرورية الخاصة بتقديمها إليه ويقوم بتنظيم الاحتفالات والأعياد الخاصة بهذا الإله.

وينظر للكاهن في أراضي الإيبو علي أنه وسيط Mediator بين الناس والألهة. (٧٩) فهو يربط بين عالمي الطبيعة والعالم فوق الطبيعي. وبذلك يلعب الكاهن دوراً بالغ الأهمية في تحقيق قدر كبير من الانسجام Harmony بين هذين العالمين. فالألهة تمنح هؤلاء الكهنة قوة خاصة بهم لكي يستطيعوا القيام بدورهم وعلي المجتمع أن يتقبل هذا الدور ويقدره. (٨٠)

وعلي ذلك يتمتع الكاهن عند الإيبو بقدر كبير من الأحترام والتبجيل ويعتبر من ضمن الأفراد ذوي المكانه العالية داخل المجتمع.

لكن ليس، معني ذلك أن كل الكهنة يتمتعون بنفس المكانة علي التساوي حيث يدخل في تحديد هذه المكانه بعض العوامل الأخري مثل مكانته هو ذاته داخل عائلته التي ينتمي إليها وشخصيته ومدي فاعليته داخل المجتمع الذي يوجد بداخله...الخ. (٨١)

تاسعاً: العرافون والسحرة عند الإيـبـو

أ - العرافــون

يطلق علي العراف في أراضي الإيبو اسم Dibia ويعتقد أنه فرد لديه القدرة علي معرفة الطالع وقراءة الغيب وكشف الأسرار. كما لديه القدرة علي العمل بالتعاويذ وعلاج الأرواح باليد. (٨٢)

ويتمثل الدور الديني للعراف في قدرته علي التنبؤ بالأمور الغيبية. وفي كثير من الأحوال يعمل العراف بطريقة مستقلة عن الكاهن وعن الأماكن المقدسة كالمعابد الخاصة بالمجتمع حيث يقوم ببناء محراب أو معبد صغير خاص به داخل منزله أو في أي مكان آخر ويمارس الأعمال التي يقوم بها.

وقد يكون العراف هو ذاته الكاهن القائم علي خدمة أحد الألهه في أراضي الإيبو ويشير «باسدين» Basden إلي أنه يطلق عبارة onye-nagba Ata علي الرجل الذي يقدم القرابين أي الكاهن ويطلق علي ذات الرجل في بعض الأحيان اسم ديبيا أي عراف.

ويذهب للعراف كل من به علة، فالإصابة بمرض أو عدم إنجاب أو سوء الحظر أو الموت المتكرر للأطفال الصغار، حيث يعتقد أن السبب في ذلك هو الإصابة بإحدي الأرواح والذي بإمكانه معرفة هذه الروح وكيفية استرضائها هو العراف. (٨٣)

وينتظم العرافون في كل قرية من قري الإيبو في جمعية سرية تعرف باسم جمعية العرافين، ولا يمكن الآلتحاق بها إلا إذا توافرت في المتقدم شروط معينه: أهمها اتخاذ الإله قراراً بإستدعائه لامتحان العرافة، والتعبير عن هذا يكون بسلسلة من الحالات المرضية العرضية ، كالصداع الذي يصيب الرأس، ويضاف لذلك أن يقوم المتقدم بدفع رسم مالي معين لهذه الجمعية مع اجتيـازه لمراسم طويلة ومعقدة تقام لترشيحه لعضوية هذه الجمعية. (٨٤)

ب - السـحـرة

يعتقد الإنسان البدائي أن الأرواح بإمكانها أن تؤدي إلي الجنون والأمراض وإجهاض النساء وتشويه البشر كما يمكن أن تؤدي إلي النفع والخير، وبالتالي يوجد اعتقاد قوي في السحر، والذي يعد حقيقة ملحة في أفريقيا لأنه يعد وسيلة للسيطرة علي الأرواح ، وضماناً لتحقيق التناسق والانسجام في الحياة. (٨٥)

والسحر نوعان عند الإيبو

- **سحر أسود** يكون الغرض منه إلحاق الأذي بالأخرين
- **وسحر وقائي أو مضاد** يقوم به الشخص لحمايه نفسة من السحر الأسود.

ويعد السحر عملاً غير مشروع ويتم في الخفاء داخل أراضي الإيبو ويتعرض القائمون به للعقاب والملاحقة من قبل بعض الجماعات السرية في أراضي الإيبو، والمرأة هي التي تمارس هذا العمل في أغلب الأحوال لآن الرجل نادراً ما يقوم به في أراضي الإيبو (٨٦)

ويشعر الإيبو بخوف شديد من القوة التي يمتلكها هؤلاء السحرة، ولذا يعمد كل فرد من ذوي المكانــة الاجتماعية العالية إلي استخدام السحر المضاد الذي يمثل قوي الخير لحماية نفســه من شـر الأعداء الحاسدين الذين قد يلجأون إلي استخدام السحر الأسود لإيقاع الأذي به (٨٧)

الهوامش

---

(١) حورية توفيق مجاهد: الاسلام فى أفريقيا وواقع المسيحية والديانة التقليدية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ص٤٥– ٤٦.

(٢) P.N.Domnwachukwu: op.cit., P.28.

(٣) V.O.Nwankpa: op.cit. p.107.

(٤) The Encyclopedia of Religion Macmillan publishing company New York:1987, Vol. 7, p.82.

(٥) V.O. Nwankpa: op cit, p.110.

(٦) V.C. Uchendu: op:cit, p.94.

(٧) C.N.Ubah: op.cit, p.92.

(٨) جاك مندلسون: الرب والله وجوجو. الأديان فى أفريقية المعاصرة، ترجمة اسعد محمد، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٧١، ص١٠.

(٩) V.C. Uchendu:op.cit, p. 92

(١٠) P.N. Domnwachukwu: op cit., p.48.

(١١) Kalu ogbaa: op cit., p.132.

(١٢) V.C. Uchendu: op. cit., p.96.

(١٣) E.U. oramasionwu: op.cit., p.134

(١٤) ماجدة فتحى رفاعة: مرجع سابق، ص ٢٣٣.

(١٥) V.C. Uchendu: op. cit., p. 97.

(١٦) C.N. Ubah: op. cit., p. 94.

(١٧) G. Parrinder D.D.: op. cit., p. 33.

(١٨) E.U. Oramasionwu: op. cit., p. 137.

(١٩) Kalu Ogbaa: op. cit., p. 131.

(٢٠) E.U. Oramasianwu: op. cit., p. 137.

(٢١) P.N. Domnwachukwu: op. cit., p. 35.

_

(٢٢) Kalu Ogbaa: op. cit., p. 131.

(٢٣) Ibid., p. 131.

(٢٤) V.O. Nwankpa: op. cit., p. 120.

(٢٥) O.C. Agukoronye: op. cit., p.p. 86-87.

(٢٦) M. ann & D.M. Imel: Goddesses in world mythology, California, 1993, p. 2.

(٢٧) O.C. A Gukoronye: op. cit., p. 87.

(٢٨) P.N. Domnwachukwu: op. cit., p. 52.

(٢٩) Ibid. p. 53.

(٣٠) V.O. Nwankpa: op. cit., p.p. 117-118.

(٣١) P.N. Domnwachukwu: op. cit., p. 53.

(٣٢) حورية توفيق مجاهد: مرجع سابق، ص٦٦.

(٣٣) V.O. Nowankpa: op. cit., p. 114.

(٣٤) E.U. Oramasionwu: op. cit., p. 192.

(٣٥) Ibid. p. 192.

(٣٦) V.O. Nwankpa: op. cit., p.p. 100-102.

(٣٧) E.U. Oramasionwu: op. cit., p.p. 198-199.

(٣٨) E.C.Eze "ed": African philosophy. Anthology, Blackwell publishers, London, 1998, p. 67.

(٣٩) Kalu ogbaa: op. cit., p. 134.

(٤٠) V.O. Nwankpa: op. cit., p. 104.

(٤١) E.U. Oramasianwu: op. cit., p. 196.

(٤٢) M.C. Onukwa: The chi concept in Igbo gender Naming, Africa, Vol. 70, no.I, 2000, p. 108.

(٤٣) Kalu Ogbaa: op. cit., p. 135.

(٤٤) C.N.Ubah: op. cit., p. 99.

(٤٥) E.C.Eze "ed": op. cit., p. 67.

(٤٦) V.O.Nwankpa: op. cit., p. 115.

(٤٧) Ibid. p. 103.

(٤٨) ماجدة فتحى رفاعة: مرجع سابق، ص ص ٢٣٥-٢٣٦ .

(٤٩) نفس المرجع، ص ص ٢٣٥-٢٣٦.

(٥٠) V.O. Nwankpa: op. cit., p. 116.

(٥١) The encyclopedia of religion, Vol. I, op. cit., p. 263.

(٥٢) Ibid. p. 263.

(٥٣) جاك مندلسون: مرجع سابق، ص ٩ .

(٥٤) محمد عاطف غيث، مرجع سابق، ص ٢٣ .

(٥٥) حورية توفيق مجاهد، مرجع سابق، ص٥٠ .

(٥٦) Kalu Ogbaa: op. cit., p. 133.

(٥٧) E.U. Oramasionwu: op. cit., p. 29.

(٥٨) ماجدة فتحى رفاعة: مرجع سابق، ص ٢٣٧ .

(٥٩) V.O. Nwankpa: op. cit., p. 15.

(٦٠) The encyclopedia of Religion, vol. 7, op. cit., p. 825.

(٦١) P.N. Domnwachukwu: op. cit., p. 51.

(٦٢) Geoffrey parrinder D.D., op. cit., p. 115.

(٦٣) Kalu Ogbaa: op. cit., p. 135.

(٦٤) P.N. Domnwachukwu: op. cit., p. 36.

(٦٥) فراس السواح: دين الأنسان. بحث فى ماهية الدين ومنشأ الدافع الدينى، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، دمشق، ط٣، ١٩٩٨ ، ص ٥٣ .

(٦٦) http://www.zyama. Com/Igbo/pics. 13/5/2004.

(٦٧) سعاد على شعبان: الثقافة الأفريقية، «فى» الموسوعة الأفريقية، المجلد الرابع «الأنثروبولوجيا»، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، ١٩٩٧، ص ص ١٨٠– ١٨١.

(٦٨) http://www.arttribal. Com/Igbo/B 369. htm. 12/5/2004.

(٦٩) The Encyclopedia of Religion, vol. 7, op. cit., p. 82.

(٧٠) P.N. Domnwachukivu: op. cit., p.p. 43-44.

(٧١) فاروق اسماعيل: مرجع سابق، ص ص ١٤٣–١٤٤.

(٧٢) Kalu Ogbaa: op. cit., p.p. 137-138.

(٧٣) فاروق اسماعيل: مرجع سابق، ص ١٥٣.

(٧٤) P.N. Domnwachukwu: op. cit., p.p. 247-248.

(٧٥) Geoffrey parrinder, D.D.: op. cit., p.p. 111-112.

(٧٦) The Escyclopedia of Religion, vol. 7, op. cit., p. 82.

(٧٧) Encyclopedia of world cultures: op. cit., p. 123.

(٧٨) V.O. Nwankpa: op. cit., p. 121.

(٧٩) P.N. Domnwachukwu: op. cit., p.p. 35-37.

(٨٠) Ibid. , p. 39.

(٨١) V.O. Nwankpa: op. cit., p. 121.

(٨٢) Ibid. p. 121.

(٨٣) P.N. Domnwachukwu: op. cit., p. 39.

(٨٤) عبد العزيز راغب شاهين: مرجع سابق، ص ١٦٢.

(٨٥) حورية توفيق مجاهد: مرجع سابق، ص ٦٨.

(٨٦) V.O. Nwankpa: op. cit., p. 122.

(٨٧) عبد العزيز راغب شاهين: مرجع سابق، ص ١٦٤.

الفصل الرابع

المسيحية وطبيعة الكنيسة في أراضي الإيبو

أولاً :المسيحية في أراضي الإيبو

المسيحية هي الديانة التي تأسست علي تعاليم السيد المسيح، والمتممة لتعاليم موسي، ولما جاء في التوراة، ويؤمن النصاري بأن مريم العذراء قد حملت بالسيد المسيح عن طريق الروح القدس، وهي ابنة عمران أحد عظماء بني إسرائيل، وكانت زوجة عمران عاقرا، فرزقها الله ب "مريم " فنذرتها لخدمة الهيكل، وكانت مريم صالحة وطاهرة.

وحملت مريم بسيدنا عيسي ووضعته في بيت لحم، فكان ميلاده حدثا عجيبا، واتهمها قومها بالفجور فأنطقه الله وهو ابن أربيعن يوما، ثم هربت أمه به إلي مصر خوفا من «هيرودس» ملك اليهود آنذاك الذي أمر بذبح أطفال بيت لحم حفاظا علي ملكه.

وعاد السيد المسيح بعد ذلك إلي القدس، ولما بلغ الثانية عشرة من عمره ألقي بنفسه في ميادين العلم.

وفي الثلاثين من عمره بدأ نشر رسالته السماوية فكذبه اليهود وناصبوه العداء، رغم المعجزات التي قام بها كشفاء الأبرص والأعمي والأخرس، وطرد الشياطين وتسكين العاصفة وإحياء الموتي، ومعجزة نزول المائدة من السماء، ولما خاف اليهود علي مصالحهم أوعزوا صدر الحاكم الروماني ضد عيسي عليه السلام وأخيرا صلب السيد المسيح « من منظور النصرانيين» وكان السيد المسيح قد اتخذ تلاميذ له ذهبوا يبشرون بقيامته وبكتابه المقدس وأبرز هؤلاء التلاميذ « بطرس » و « بولس » وغيرهم ممن تأسس علي أيديهم الكنائس الأولي في المسيحية.

وعبر التاريخ انشقت الكنيسة المسيحية إلي كنيسة كاثولوكية غربية في روما، وأخري أورثوذكية شرقية في القسطنطينية، ومن ثم إلي فرق متعددة منها: الآريوسية والنسطورية واليعاقبة والكاثولوكية والأرثوذكسية والمارونية والبروتستانتية (١)

وكتاب النصرانية المقدس هو العهد القديم والعهد الجديد، ولكن يختلف العهد القديم المسيحي عن توراة اليهود، لأن العهد القديم المسيحي أضاف عدة أسفار لم تكن موجودة بالعبرية غير أن هذا الاختلاف لا يمس شيئا من العقيدة، لكن اليهودية لا تعترف بأي

وحي جاء بعدها. في حين أن المسيحية اعتمدت التوراة العبرية ولكن أضافت إليها بعض الإضافات، ولم تقبل كل ما انتشر من كتابات تستهدف تعريف الناس برسالة عيسي، ولذا قامت الكنيسة بإجراءات حذف عديدة لعدد كبير من الأسفار التي كتبت لتعريف الناس بحياة عيسي وتعاليمه.

ومن ثم لم تحتفظ الكنيسة من العهد الجديد إلا بعدد محدود من الكتابات، من أهمها الأناجيل الأربع المعترف بها كنسياً وهم إنجيل متي وإنجيل مرقس وإنجيل لوقا وإنجيل يوحنا (٢)

ويشير القساوسة ورجال الدين المسيحي إلي أنه منذ أتي المسيح إلي هذا العالم ، والإله أرسل معه البعثات التبشيرية لكي تبشر في كل مكان علي وجه الأرض، ويسعي هؤلاء إلي ترسيخ ذلك في قلوب كل معتنقي الديانة المسيحية، مؤكدين علي أن الأناجيل التي يتداولها المسيحيون وردت فيها الإشارة واضحة بتكليف معتنقي هذه العقيدة للانطلاق إلي كل أنحاء العالم لنشر تعاليم الإنجيل والدعوة إلي ما جاء به، ودعوة الناس إلي اعتناق المسيحية وتعليمهم أصول هذه العقيدة وشرائعها، فلقد جاء في إنجيل متي في الإصحاح الثامن والعشرون « فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والإبن والروح القدس، وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيناكم به، وها أنا معكم كل الأيام إلي إنقضاء الدهر».

وجاء في إنجيل مرقس الإصحاح السادس عشر علي لسان المسيح قوله « اذهبوا إلي العالم واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها فمن آمن واعتمد خلص ومن لم يؤمن يدن ».

ومن هذه الأصول استمدت المسيحية مبررات ومقومات الدعوة إلي ما جاء في الانجيل، واطلق علي هذا النشاط مصطلح « التبشير»، وعلي هذا الأساس خرجت البعثات التبشيرية منذ فجر المسيحية متوجهة إلي كل مكان يمكنها الوصول إليه، واضعة نصب عينيها هدفا محددا هو «**تنصير المجتمعات غير المسيحية**» ونشر المسيحية في كل بقاع الأرض، والإستمرار في ذلك النشاط حتي نهاية الخليقة.

ولأن التكليف بهذا العمل تكليف إلهي من قبل السيد المسيح من المنظور المسيحي ، وبالتالي فالقيام به إن كان يقع بشكل أساسي علي رجال الدين المسيحي لكنه في النهاية غير قاصر عليهم دون غيرهم فقط بل هو واجب مقدس علي كل مسيحي يحيي علي هذه الأرض، طالما يستطيع القيام بذلك.

وتلبية لهذا الواجب المقدس يوجد حوالي ربع مليون منصر غربي يعملون الأن في أفريقيا وأسيا، أوفدتهم ٣٥٠٠ أرسالية من أوربا وأمريكا، غير أن هذا العدد رغم كثرته يعتبر غير كافي إذا ما تم توزيعه علي كل من أفريقيا وأسيا. لذا كان من الضروري العمل علي تكوين طبقة من رجال الدين الوطنيين يتولون أمور الكنيسة في بلادهم مستقبلا (٣) والعمل علي تخريج كوادر متعلمة لديها قدر واف من الديانة الجديدة للعمل علي توسيع النشاط التبشيري في مختلف الميادين، وعدم قصره علي المؤسسات

التعليمية والطبية والخدمية وغيرها مما يعمل علي زيادة القاعدة التنصيرية في مختلف المناطق.

وظلت أفريقيا ومازالت هدفا للنشاط التبشيري من مختلف أرجاء الأرض منذ بواكير العمل التنصيري، فلقد سعت البعثات التبشيرية إلي غزو قارة أفريقية بهدف غرس المسيحية في جميع أنحائها منذ وقت مبكر، وفي القرن الثاني الميلادي كانت هناك في كل من مصر وأثيوبيا وشمال أفريقية كنيسة مسيحية قوية، غير أنها أقتصرت علي تلك الجهات فقط (٤)

ومنذ الفتح الإسلامي لأفريقيا في منتصف القرن السابع الميلادي تقريبا حدث توقف للنشاط التبشيري المسيحي في أفريقيا، ثم عاد ثانية إلي الظهور بعد الإتصال الأوربي بهذه القارة مرة أخري، وكانت البرتغال هي أول دولة أوربية احتكت بأفريقا حيث وصلت إلي الكنغو وأنجولا سنة١٤٨٣م وإلي موزمبيق سنة ١٥٠٥م وبدأ النشاط التبشيري من جديد منذ ذلك التاريخ (٥)

ودخلت المسيحية إلي نيجيريا عن طريق سيراليون، فأثناء محاربة الرق وإعلان تحريمه كان في سيراليون أعداد من الرقيق من نيجيريا والأقطار التي حولها، فلما تم تحريرهم رجعوا إلي موطنهم الأصلي في غرب أفريقيا، وظلوا علي صلة بالإرساليات التبشيرية التي كانت في سيراليون (٦)

ويمكن التأصيل لبدء نشاط البعثات التبشيرية في نيجيريا بأوائل القرن السادس عشر، حيث وصلت بعثة الروم الكاثوليك إلي منطقة بنين سنة ١٥١٦م، واستمرت في عملها هناك حتي عام ١٦٨٨م، لكنها لم تترك أثرا واضحا في تلك المنطقة. رغم أنها أستمرت لمدة تزيد عن قرن ونصف قرن من الزمن.

وظلت نيجيريا بعد ذلك التاريخ بعيدة عن النشاط التبشيري نحو قرنين من الزمان إلي أن عادت إليها البعثات التبشيرية الأوربية في القرن التاسع عشر وتحديداً في عام ١٨٤٢م حيث وصلت البعثة الميثودية الويزاليانية The wesleyan methodist mission إلي نيجيريا، وبدأت نشاطها في كلا من باداجري وأبيكوتا في الجزء الجنوبي الغربي من نيجيريا، وبعد عام واحد لحقت بها بعثة جمعية الكنيسة التبشيرية «Church missionary society«.c.m.s

وفي عام ١٨٤٧ أرسلت الكنيسة الإسكتلندية بعثتها إلي مدينة كالابار. وبعد ذلك بست سنوات أنشأ المعمدانيون الأمريكيونAmerican Baptists مركزا لهم في مدينة أويو، وفي عام ١٨٦٨م أنشأت بعثة الروم الكاثوليك مركزا لها في مدينة لاجوس، ولم يقتصر النشاط التبشيري علي هؤلاء الرواد الأوائل فقط، خاصة بعد أن انتشرت المراكز التابعة لهم في كثير من الأنحاء بل لحقت بهم بعثات تبشيرية أخري،

بلغ عددها في نهاية الحرب العالمية الأولي خمس عشرة بعثة، وكان نشاط هذه البعثات يتركز في المناطق الجنوبية ومنطقة الحزام الأوسط لنيجيريا (٧)

ويعكس هذا مدي الإهتمام من قبل البعثات التبشيرية بالقطر النيجيري والذي يمثل أكبر تعداد سكاني في غرب إفريقيا كلها.

وبذلك يمكن القول بأن المسيحية لم تنتشر بشكل حقيقي في نيچيريا إلا منذ القرن التاسع عشر، وتتسم الكنائس هناك بأنها كنائس من النمط الذي يتسم بالأستقلال، فالكنائس السائدة في نيچيريا هي الكنائس المستقلة Independent Church (٨) بما في ذلك أراضي الإيبو التي دخلتها المسيحية في منتصف القرن التاسع عشر تقريبا، وأصبحت المسيحية كما يشير البعض الديانة الرئيسية لها بعد تخلي الكثيرين من أبناء الإيبو عن ديانتهم الوثنية الأولي.

ثانياً: طبيعة الكنيسة فى أراضى الإيبــو

تعد الكنيسة رمزا للدين المسيحي، فهي المكان الذي وضع أساسه السيد المسيح ليعبد فيه -وذلك وفقا للمنظور المسيحي - ولذا فللكنيسة أهميتها ومكانتها داخل كل من يعتنق المسيحية.

وكلمة كنيسة مأخوذة من الكلمة اليونانية Ecclesia، وتعني في الاستعمال العام للغة «جماعة» أو «اجتماع» وقد تعني محفل « أي جماعة ملتفة لغرض ما ..» وقد تعني «محفل شرعي» إي «مجلس قضاء»، ثم تحددت كلمة Ecclesia لتدل علي الكنيسة التي تكونت يوم الخمسين من المؤمنين الحقيقيين في كل زمان ومكان، فيوجد في سفر الأعمال «وكان الرب كل يوم يضم إلي الكنيسة الذين يخلصون» «أعمال ٢:٤٧» (٩)

فالكنيسة هي مجتمع بشري منظم بشكل الدول الأرضية التي حكومتها ملكية. هذا المجتمع منظور ومشهور، ومؤلف من أمم الأرض بشرط أن يؤمنوا بالمسيح ويخضعوا له ويطهروا بماء العماد، فالكنيسة هي مملكة المسيح علي الأرض.

هذا هو تعريف الكنيسة كما ورد في بعض الأدبيات المسيحية، مؤكدين علي أنها عمل إلهي ويتضح ذلك في الأتي: «فلم يكتف الرب بالمناداة بمملكته تاركا لغيره وضع نظامها وشرائعها، بل تنازل هو نفسه، وسن لها هيئة حكومتها، وكيفية الانتماء إليها «مرقس ١٦:١٦»، وشرائعها الاساسية كما في خطابه علي الجبل «متي ٦-٨» وفي عظاته في الهيكل «متي ٢١-٢٨» وكلامه الأخير لرسله قبل أن يذهب إلي الموت «يوحنا ١٤:١٧» (١٠)

ولذلك حرصت البعثات التبشيرية علي إنشاء كنائس تابعة لها، حيث يعد ذلك من المهام الأساسية للعمل التبشيري، فهي من الأمور الجوهرية التي نادي بها يسوع ووضع أساسها، ورغم أن الكنيسة التي أسسها السيد المسيح كانت كنيسة واحدة لكنها في الوقت الحاضر أكثر من أن تعد، وظهرت كنائس كثيرة تنفرد بذاتها وتختلف عن الأخريات في العديد من الأمور.

وبعد صعود السيد المسيح، وتأسيس الكنيسة الأولي، واتساع رقعة الكرازة فيها، أخذ التلاميذ يكتبون أناجيلهم ، وما إن جاء القرن الثاني حتي إكتمل تكوين الكتاب المقدس الذي أصبح -ومازال- المصدر الأول للفقه المسيحي، وفي ذلك الحين ظهرت كتابات فقهية كتبها الآباء الرسوليين الأولين، فأصبحت المصدر الثاني للفقه الكنسي .

وكانت الكنيسة الأولي مقسمة إلي وحدات إدارية كبري، سميت بالكراسي الرسولية وهي أورشليم وأنطاكيا والاسكندرية وروما، وقد أضيفت إليها القسطنطينية تكريما للملك قسطنطين، وكان أساقفة هذه الكراسي يجتمعون في اجتماعات سميت بالمجامع

المسكونية للمحافظة علي العقيدة ووحدتها ، ووضع القواعد والقوانين التي تنظم الكنيسة، ومقاومة البدع والهرطقات (١١) التي ظهرت في التاريخ المسيحي منذ بدايته، وكان من أصحاب هذه البدع والهرطقات في بداية عهد الميسحية « سيمون الساحر» الذي جاء ذكره في أعمال الرسل، ومن أصحاب البدع أيضا - في تلك الأونة - كلا من مينا الكبارتي Cappacatea M وذوسينيس Dosiheus وكليوبيوسsuiboelc الذين ادعي كل منهما الألوهية. وهنالك أيضا كبيرنتوس Cerinthos اليهودي المصري الذي جاء إلي أورشليم أيام الرسل، وانتقل إلي فلسطين، ثم إلي أنطاكية حيث راح يعلم بوجوب حفظ السبت والاختتان وغير ذلك من فروض الناموس مدعيا بأن السيد المسيح هو ابن يوسف ومريم، وبأن ملاكا من الملائكة خلق الكون، وأخر أعطي الشرائع والناموس، وهذا الأخير هو الله إله اليهود، وأن شيئا من الروح القدس المنبثق من الاله حل علي يسوع عند اعتماده في الأردن، فرافقه حتي صلب، ونفي قيامة السيد المسيح وأرجأها حتي قيامة جميع الأتقياء (١٢)

وترتب علي وجود مثل هذه البدع والهرطقات وما تعلق بها من آراء وأحكام حدوث إختلافات، كانت العامل الأساسي لحدوث انقسامات في الكنيسة الأولي التي وضعها السيد المسيح، ومن ثم ظهرت الطوائف المسيحية التي تتفق في بعض الأمور، وتختلف في الأخري وأصبح لكل من هذه الطوائف كنائس تابعة لها، ولها بعثاتها التبشيرية التي تبشر بالمسيحية وفق رؤيتها، لأن كلا من هذه الطوائف تري أنها علي صواب وغيرها علي باطل.

وأنكرت كل طائفة مسيحية جميع الطوائف الأخري، وعدت اتجاهاتها هرطقات وضلالا، ومن دلائل ذلك مذبحة باريس التي حدثت في ٢٤أغسطس ١٥٧٢، حيث سطا الكاثوليك علي ضيوفهم البروتستانت فذبحوهم وهم نيام، وأصبحت باريس وشوارعها تجري بدماء الضحايا، وراح البابا يهنئ ملك فرنسا علي هذا التصرف (١٣)

ولذلك لم تكن الكنائس في أراضي الإيبو علي قدر كبير من التشابه (١٤) ويرجع ذلك إلي تنوع البعثات التبشيرية داخل أراضي الإيبو وظهور ما يسمي الكنائس المستقلة Independent Church بداخلها..

ويمكن التمييز بين ثلاثة أنماط أساسية للكنائس في أراضي الإيبو وذلك علي النحو التالي :

أ- الكنائس الكاثولوكية

يدعي الكاثوليك أن مؤسس كنيستهم الأول هو « بطرس» الرسول كبير الحواريين

ورئيسهم، وأن بابوات روما خلفاءه، لذا فإرادتهم لا تقبل المناقشة (١٥) ويعود الفضل في ظهور الكنائس الكاثولوكية في أراضي الإيبو إلي البعثة الكاثولوكية الرومانية التي دخلت هذه القبيلة سنة ١٨٨٥م في مدينة أونيتشا.

ب- الكنائس البروتستانتية

سمي الذين أعتنقوا مبدأ الاصلاح الديني وخرجوا علي الكنيسة الكاثولوكية «بروتستانت» ، لأنه عندما أريد تنفيذ قرار الحرمان عليهم، أعلنوا احتجاجا يسمي بالانجليزية «بروتست -Protest» أو بروتستاتيو باللاتينية، ومعناه الاحتجاج والمعارضة علي الأكثرية المتمسكة بكل التعاليم الكاثولوكية سنة ١٥٢٩م(١٦)

ومن أهم ما نادت به البروتستانتية أن تفسير الكتاب المقدس مباح لكل إنسان، وذلك علي نقيض ما كانت تسير علية الكنيسة الكاثولوكية التي قصرت حق تفسير الكتاب المقدس علي رجال الكهنوت عندها، وكان من أهم مبادئ البروتستانتية أيضاً أنه لا رهبنة ولا بتولية في المسيحية وكان « مارتن لوثر» - مؤسس هذا المذهب - قدوة في ذلك حين خلع ذي رهبنته وتزوج براهبة هاربة، كما أنهم - البروتستانت - لا يعترفون بالصور ولا الأيقونات للمسيح أو العذراء أو القديسين ولا الشهداء ولا تماثيل مما تفعله الكنيسة الكاثولوكية، كما أنه لا رئاسة عامة في الكنيسة المسيحية، فلكل كنيسة بروتستانتية رياسة خاصة بها (١٧)

ويتمثل المذهب البروتستانتي في أراضي الإيبو في تلك الكنائس التابعة لكل من بعثة الكنيسة التبشيرية والبعثة الميثودية وبعثة المعمدانيون والبعثة البرسبترِيانية «المشيخية» ، فكل هذه البعثات تمثل طوائف وفرقا تابعة للمذهب البروتستانتي في كثير من الأمور ومنشقة عليه في أمور أخري تتسم بها عن غيرها.

وكان لتنوع هذه البعثات في إنتمائها بين كاثولوكية وأخري بروتستانتية والبعثات المنتمية للمذهب البروتستانتي هي الأخري منشقة علي ذاتها ، هذه الانشقاقات والاختلافات، كان لها أثرها علي العملية التبشيرية في أراضي الإيبو خاصة إذا ما كانت هذه الاختلافات ليست شكلية ظاهرية، يمكن تجاوزها وتخطيها في الخطاب الديني الموجه لأفراد هذا المجتمع المراد تنصيره فالكتاب المقدس والذي يعد المصدر الأول للمرجعية المسيحية، تختلف النسخة الكاثولوكية فيه عن النسخة البروتستانتية، خاصة في العهد القديم، حيث تزيد النسخة الكاثولوكية سبعة أسفار هي « طوبيا - يهوديت - الحكمة - يسوع بن سيراخ - باروح - المكابيين الأول- المكابيين الثاني » عن

النسخة البروتستانتية ، وبالتالي يصبح عدد أسفار العهد القديم عند البروتستانت تسعة وثلاثين سفرا، في حين يصل إلي ستة وأربعين سفرا في النسخة الكاثولوكية، يضاف لذلك أن الكنيسة الكاثولوكية تجعل أسفار الملوك أربعة أولها وثانيها بدلاً من سفري صموئيل الأول والثاني كما يختلف الكاثوليك عن البروتستانت في تقسيم العهد القديم،

فالكاثوليك يقسمون العهد القديم إلي خمسة أقسام هي:

١- أسفار موسي الخمسة. ٢- أسفار تاريخية وعددها ١٦ سفرا.

٣- أسفار شعرية وعددها ٦ أسفار. ٤- أسفار نبوية وعددها ١٧سفر.

٥- أسفار تعليمية وعددها اثنان.

أما البروتستانت فيقسمون العهد القديم إلي ثلاثة أقسام هي :

١- التوراة أو أسفار موسي.

٢- أسفار الانبياء وهي :

أ- أسفار الانبياء المتقدمين ب- أسفار الأنبياء المتأخرين.

٣- الكتابات وهي ثلاثة أنواع:

أ- الكتب العظيمة ب- المجلات الخمس جـ - الكتب (١٨)

يضاف إلي ما سبق اختلاف الكاثولوكية عن البروتستانت في النظرة لمفهوم التبشير. ففي الوقت الذي يري فيه البروتستانت أن الهدف من التبشير هو تنصير المجتمعات غير المسيحية -non christian world وفي حالات استثنائية تنصر المجتمعات الكاثولوكية نفسها. يري الكاثوليك أن الهدف من التبشير هو كثلكة الذين لا يؤمنون بالكنيسة الكاثولوكية non-Roman catholic world بما في ذلك المسيحيون الذين لا ينضمون تحت نفوذ البابا ، وهؤلاء هم ما يعرفون بالمنشقين Schismastics والمهرطقين Heretics (١٩)

وسعت كل طائفة من هذه الطوائف مساعي شتي لملء مقاعد كنائسهم Pews بأتباع جدد من أفراد الإيبو عن طريق تقديم الخدمات الاجتماعية والطبية والتعليمية وغير مهتمين بقدر كافي بالتعاليم المسيحية الجوهرية لكي يكون التغير الديني للمسيحية تغيراً حقيقياً.

وترتب علي كل ما سبق وجود نوع من التنافس بين البعثات التبشيرية، كان من شأنها غرس بذور الشك في قلوب الراغبين في اعتناق ذلك الدين الجديد من أفراد الإيبو.

كما أن اختلاف المبشرين فيما بينهم أضعف قواهم من ناحيتين.

أولهما: أن المنافسة بين الجماعات التبشيرية يضطرها إلي بذل جهود كبيرة في عملية التبشير .
ثانيهما: أن هذه المنافسة تضعف العملية التبشيرية ذاتها، ومن ثم تفقد هذه البعثات تأثيرها في الناس المراد تنصيرهم في أغلب الأحوال.
ومن مظاهر هذا الضعف أن أصبح معظم الناس الأن في أراضي الإيبو أكثر اهتماما بما تستطيع الكنيسة تقديمه لهم أكثر من اهتمامهم بما يستطيعون تقديمه للكنيسة.
فأصبحت الجوانب المادية «المنفعة» هي الجوانب الأهم في اعتناق أو عدم إعتناق المسيحية في أراضي الإيبو.

جـ - الكنيسة الوطنية «المحلية» Indigenous Churches

الكنائس المحلية هي تلك الكنائس التي أقامها النيجيريون أنفسهم علي أراضيهم ، ويكثر هذا النمط من الكنائس في أراضي الإيبو للحد الذي يمكن معه القول، بأن هذه الكنائس هي الأكثر شيوعا common sight في كل مجتمعات الإيبو، والدوافع متعددة ومتداخلة بشأن الغرض من إنشاء مثل هذه الكنائس(٢٠)
فالحاجة لإنشاء كنائس وطنية تعتمد علي مواطنيها، يعد ضرورة أملتها الظروف الاقتصادية والسياسية والدينية، فوظيفة الإرساليات لا تتغير، وطرد المبشرين لم يكن شيئا نادراً، فقد حدث في الحبشة سنة ١٩٣٥م وحدث في الصين عام ١٩٥٠م وفي السودان سنة ١٩٦٤م (٢١)

وفي أعقاب الحرب الأهلية في نيجيريا أصدرت حكومة نيجيريا الاتحادية بيانا أعلنت فيه أنه سيتم في أقرب فرصة ترحيل القساوسة والرهبان الكاثوليك الأجانب الذين أدينوا أخيرا بتهمة دخول البلاد بطريق غير قانوني، ثم اشتركوا في التآمر الاستعماري ضد وحدة نيجيريا، وقد تم بالفعل نقل عدد كبير من هؤلاء القساوسة والرهبان الأجانب إلي لاجوس تمهيداً لترحيلهم إلي بلادهم الأصلية(٢٢)
وبالتالي وجود فئة من أهل البلاد في إدارة الكنيسة يساعد في الدفاع عن الكنيسة في حالة الاضطرابات المعادية للمبشرين، ومن ثم كان من الضروري خلق كوادر بشرية وطنية قادرة علي مواصلة العمل التبشيري في حالة اضطراب العمل التبشيري الذي تقوم به الإرساليات، يضاف لذلك قلة عدد المبشرين الأجانب القادرين علي القيام بالعمل التبشيري في ظل الظروف البيئية وغيرها، ومن جانب أخر تعد هذه الكوادر البشرية الوطنية من أفضل الآليات لتوصيل الإنجيل لأبناء مجتمعهم.

ويرجع « ستيف جبازي » Steve Gbazi أسباب ظهور هذا النمط من الكنائس إلي شيئين أساسيين هما : **١- الاسم name** **٢- المال money**

حيث يوجد بعض الأفراد الذين يرغبون في التكسب من خلال الكتاب المقدس، وذلك من خلال التبرعات التي تقدم من أتباع هذه الكنيسة لكنيستهم، ومن خلال ما يدفع من رسوم إبان حفل الزواج والطقوس الجنائزية، يضاف لذلك الأموال التي قد تقدم من قبل الكنائس الكبري لتشجيع هذه الكنائس الصغيرة علي المواصلة وتأدية رسالتها.......الخ

من جانب آخر يتمتع خدام الكنيسة بمكانة عالية بالنسبة لأتباع كنيستهم فأمرهم مطاع ووصيتهم واجبة التنفيذ ....الخ

ويشير « فين » Venn وهو من الشخصيات الهامة في التاريخ التبشيري حيث ظل يعمل سكرتيرا لجمعية الكنيسة التبشيرية لمدة ثلاثين عاما (١٨٤٢م- ١٨٨٢م) - إلي ثلاث مراحل لتحول الكنيسة الأفريقية والأسيوية إلي كنائس محلية وهي

١- الدعم الذاتي self-supporting

٢- الحكم الذاتي self-Governing

٣- التوسع الذاتي self-extending

وأطلق علي هذه العملية مصطلح الموت البطئ euthanasia للبعثات التبشيرية

فعلي الرغم من أن الكنائس المحلية ضرورة أملتها الظروف، لكنها تعد أيضا من آليات القضاء علي البعثات التبشيرية داخل المجتمع المحلي ذاته.

ويفرق « ميلفن هودجس» Melvin Hodges بين نمطين من الكنائس المحلية

النمط الأول : وهو الكنائس التي أقامها الوطنيون أنفسهم علي أراضيهم، وبدعم من مصادر وطنية.

النمط الثاني: وهو الكنائس التي أقامتها البعثات التبشيرية الأجنبية سواء بدعم أو بدون دعم أجنبي، وآل حكمها في الآونة الآخيرة للوطنيون أنفسهم (٢٣)

وانبثق عن كلا النمطين السابقين نمط جديد من الكنائس يطلق عليه اسم الكنائس المستقلة Independent church وهو نمط من الكنائس ذات أصل إفريقي African origin ويوجد في العديد من أجزاء القارة الأفريقية (٢٤)

والتي يعلق عليها « أوسيزن» G.C.Osthuizen بأنها كنائس تعكس المحلية في أقصي صورها وتؤكد علي أهمية الثقافة المحلية الأفريقية African indigenaus culture (٢٥)

ويعبر هذا النمط من الكنائس عن التحرر، ويشير إلي التخلص من رق الرجل الأبيض للأفارقة، وليس معني ذلك تزامن ظهور هذا النمط من الكنائس بحركات التحرر السياسي للدول الأفريقية والتي كان غالبيتها في منتصف القرن العشرين، فهو نمط من الكنائس موجود قبل ذلك بكثير.

ومن الأمثلة المبكرة الدالة علي وجود هذا النمط من الكنائس قبل التحرر السياسي للدول الأفريقية، وجود الكنيسة الأفريقية الوطنية المتحدة The united Nation African church في لاجوس Lagos سنة ١٨٩١م والكنيسة الاثيوبية في برتيوريا Pretoria سنة ١٨٩٢م. (٢٦)

ولقد اتسمت الكنائس المستقلة بسمات خاصة تميزها عن غيرها من الكنائس الأخري، بل إن كلا منها تتسم بسمات خاصة بها تميزها عن الكنائس المستقلة الأخري. فيوجد منها ما يتخذ من التحرر السياسي Political Liberation أساسا لوجودها (٢٧)

وهي كنائس تجعل من وجودها مظهرا من مظاهر التحرر السياسي من قيود الرجل الأبيض ... فإذا كان هناك المسيحية الكاثولوكية الرسولية في أورشليم فيجب أن يكون هناك الكنائس المستقلة في أفريقيا أيضا (٢٨)

وهناك كنائس أخري تركز علي عبادة الأسلاف المنغمسة بقدر طفيف من المسيحية، ومنها أيضا ما يأخذ الكثير من المسيحية مع الاستمرار في ممارسة بعض الممارسات الوثنية، وهناك نمط منها أيضا يركز علي فكرة وجود الإله الواحد One God كما هو موجود في العهد القديم، ومنها أيضا مالا يهتم بالمسيحية سوي في التركيز علي المسيح كمخلص والروح القدس (٢٩)

ويعد هذا النمط من الكنائس استجابة طبيعية للمسيحية الأفريقية African christianity.. لأنها مسيحية وريثة الأديان الأفريقية التقليدية (٣٠) فالكنائس المستقلة ظهرت وتطورت بغرض أن تتوافق مع حاجات وتساؤلات الأفارقة، أو بمعني أدق لكي تتوافق مع اللاهوت الأفريقي African Theolgy ، يضاف لذلك بعض الأسباب الأخري ذات الطابع السياسي والتي من أهمها اقتران التبشير المسيحي بالاستعمار الأوربي للأفارقة، ولذلك ينظر لهذا النمط من الكنائس علي أنه نمط يعبر عن حركات التحرر في أفريقيا (٣١)

وكان للايبو نصيب من هذه الكنائس المستقلة، وهي كنائس تركز معظمها علي

«الصلاة - Prayer» دون الاهتمام بباقي عناصر الحياة المسيحية Christian-Life ، كما أنها كنائس تمارس التطبيب الممزوج ببعضٍ من الوعظ الانجيلي البسيط « العلاج بالإنجيل » وتهدف هذه الكنائس في الأساس إلي جعل المسيحية أكثر توافقا وموائمة مع الهوية الإثنية للإيبو (٣٢)
فالمسيحية في نمطها الغربي لم تلق قبولا في ظل المعايير الأخلاقية الأفريقية (٣٣)

الهوامش

---

(١) حسين على حمد: قاموس المذاهب والأديان، دار الجبل، بيروت، ١٩٩٨، ص ص ٢٠٩–٢١٠ .

(٢) موريس بوكاى: القرآن الكريم والتوراة والانجيل والعلم . دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢، ص٥ .

(٣) كرم شلبى: الاذاعات التنصيرية الموجهة إلى المسلمين العرب، مكتبة التراث الاسلامى، القاهرة، ١٩٩١، ص ص ١٧ – ٢٣ .

(٤) محمد عبد المنعم يونسى: أفريقيا بين الاسترقاق والتحرر «سيراليون»، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨١، ص ٢٢٦ .

(٥) جاك مندلسون: مرجع سابق ص ص ١١– ١٢ .

(٦) عبد الجليل شلبى: معركة التبشير والإسلام. حركات التبشير والإسلام فى أسيا وأفريقيا وأوربا، مؤسسة الخليج العربى، القاهرة، ١٩٨٩ ص ١٦٢ .

(٧) أحمد صقر سيد نجم: الحركة الوطنية فى نيجيريا ١٩١٤ –١٩٦٠، رسالة ماجستير «غير منشورة»، معهد البحوث والدراسات الافريقية، جامعة القاهرة، ١٩٨٣، ص ص ١٠٦– ١٠٧ .

(٨) http://www.wowessays.com/dbase/af 1 /nyv151. shtmi, 5/11/2002.

(٩) P.N. Domnwachukwu: op. cit., p.p. 74, 81, 117, 118, 137.

(١٠) نخبة من خدام الانجيل: الكنيسة الحقيقية، مكتبة دير الدومنيكان، القاهرة، ١٩٨٢، ص ٧ .

(١١) خليل اده اليسوعى: ما هى الكنيسة واين هى ؟ ، المطبعة الكاثولوكية، بيروت، ، ١٩٣٧، ص ص ٥ – ١٢ .

(١٢) ماهر يونان عبد الله: الطوائف المسيحية فى مصر والعالم، «مراجعة وتقديم» القس جرجس صبحى، مطبعة المركز المصرى للطباعة، القاهرة، ٢٠٠١، ص ٣٣ .

(١٣) طونى مفرج: موسوعة المجتمعات الدينية فى الشرق الاوسط، المجلد الثانى «المسيحيون»، نوبليس، بيروت، ط ٢، ١٩٩٩ ص ص ٤٧ – ٤٩ .

(١٤) P.N. Domnwachukwu: op. cit., p. 100.

(١٥) محمد عزت الطهطاوى: فى مقارنة الأديان النصرانية والاسلام، مكتبة النور للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط ٢، ١٩٨٧، ١٣٦.

(١٦) إبراهيم عبد السيد: الفروق العقائدية بين المذاهب المسيحية وطائفتى الأدفنتيست السبتيين وشهود يهوه، مطبعة الأنبا رويس، القاهرة، ط ٨، ١٩٨٦، ص ٨.

(١٧) إبراهيم عبد السيد: البدع والهرطقات خلال عشرين قرناً، الجزء الثانى «القرون العشرة الأخيرة»، مطبعة الأنباروبس، القاهرة، ١٩٨٩، ص ص ٣٧، ٣٨.

(١٨) أحمد شلبى: مرجع سابق، ص ص ٢٣٤، ٢٣٥.

(١٩) إبراهيم عكاشة على: مرجع سابق، ص ٣.

(٢٠) P.N. Domnwachukwu: op. cit., p.p. 89-90, 100, 102, 115.

(٢١) إبراهيم عكاشة على: مرجع سابق، ص ٨.

(٢٢) مصطفى خالد & عمر فروخ: التبشير والاستعمار فى البلاد العربية، عرض لجهود المبشرين التى ترمى إلى اخضاع الشرق للاستعمار الغربى، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، ط ٣، ١٩٨٦، ص ٢٥٤.

(٢٣) P.N. Domnwachukwu: op. cit., p.p. 89, 149, 151.

(٢٤) The Encyclopedia of Religion, Vol. 3, op. cit., p. 414.

(٢٥) P.N. Domnwachukwu: op. cit., p145.

(٢٦) The Encyclopedia of Religion, Vol. 3, op. cit., p. 414.

(٢٧) http://www.wowessays.com/dbase/afI/nyv151.shtmi,5/11/ 2002

(٢٨) Encyclopedia of christianity, op. cit., p. 681.

(٢٩) http://www.wowessays.com/dbase/afI/nyv151.shtmi,5/11/ 2002

(٣٠) The Encyclapedia of Religion, vol. 3, op. cit., p. 416.

(٣١) Encyclopedia of christianity, op. cit., p. 681.

(٣٢) P.N. Domnwachukwu: op. cit., p. 124.

(٣٣) Encyclopedia of christianlity, op.cit., p. 680.

الفصل الخامس

البعثات التبشيرية في أراضي الإيبو

يمثل النشاط التبشيري وسيلة من الوسائل العديدة التي تستخدم لنشر عقيدة ما، والتي منها الإتصالات الثقافية والاحتلال العسكري والإمتيازات الأجنبية، وإن كانت نسبة ما تؤديه تلك الوسائل مجتمعة أكثر مما تؤديه بعثات التبشير، إلا أن البعثات التبشيرية تعتبر الوسيلة المثلي بالنسبة لتلك الوسائل لأن إيفاد مرسلين يقومون بنشر عقيدة ما من خلال الوعظ وإدخال الإيمان إلي قلوب الآخرين يتمشي مع تعاليم الدين الذي يرمي في جوهره إلي الإيمان الداخلي.

لذا كان الاهتمام بمثل هذا النشاط التبشيري كبيراً ويشغل بال القائمين بخدمة الكنيسة، ومن دلائل ذلك ما جاء في الإرادة البابوية التي أصدرها البابا بندكت الخامس عشر (١٩١٤-١٩٢٢) سنة ١٩١٩ والتي ركز فيها علي ضرورة:

- التوغل في الأراضي والدأب علي الفتح التبشيري .

- تكوين طبقة من رجال الدين الوطنيين، يتولون أمور الكنيسة في بلادهم مستقبلا.

كما كان من بين الجهود التي قام بها البابا بيوس (١٩٢٢ – ١٩٣٩) تأسيس معهد للتبشير تدرس فيه مادة التبشير كمادة تخصص مع علم اللاهوت، تعرف باسم علم الميثولوجيا Missiology، وصارت دراسة هذا العلم من مواد تأهيل المبشرين للعمل في الخارج، حتي يكون المبشر أكثر ملاءمة للمكان والزمان اللذين يعمل فيهما.
وينقسم هذا العلم إلي عدة فروع، منها ما يختص بدراسة التبشير من الناحية اللاهوتية، ويبحث العوامل الدينية للنشاط التبشيري من خلال الكتاب المقدس وتعاليم الكنيسة، ومنها ما يختص بدراسة تاريخ التبشير، ويتناول البحث في نمو الكنيسة في العالم، والطرق المختلفة التي استخدمت لنشر المسيحية في المعمورة، ومنها ما يختص بدراسة التبشير الميداني، والذي يهتم بجمع المعلومات عن نشاط الكنيسة في مجال التبشير وعدد الإرساليات والمشاكل التي تواجهها.

ويعني إصطلاح بعثة أو إرسالية تبشيرية mission جماعة من المبشرين يقومون بإحتلال إقليم معين ويبشرون فيه بالإنجيل. وأصل الكلمة لاتيني مشتقة من الفعل mitter ويعني رحلة قصيرة لأداء رسالة أو القيام بمهمة ما، ومنذ القرن السابع عشر أخذت الكلمة تستعمل للرجال والنساء الذين يوفدون بواسطة الهيئات التبشيرية لنشر المسيحية والذين يقومون بهذه المهمة يعرفون باسم مبشرين missionaries

وتضم الإرسالية عددا من المراكز التبشيرية الرئيسية stations ومراكز فرعية out-stations ، وإصطلاح مركز تبشيري له معان متعددة وعادة ما يعني إحدي المدن أو بلدة كبيرة يقوم بالتبشير فيها مبشر واحد أو أكثر، ومنها يمتد العمل التبشيري إلي المناطق المجاورة، وقد يتسع مدلول المركز التبشيري ليضم إقليماً تقع فيه تلك المدينة أو البلدة، أما المراكز الفرعية فهي عبارة عن قرية، يقوم بالعمل التبشيري فيها أحد السكان الوطنيون، ويندر أن يكون بها مبشر أوربي مقيم .(١)

وتعتمد الجمعيات والمنظمات التنصيرية التي تمول هذه البعثات في تمويلها علي ما يقدم إليها من هبات وتبرعات وإعانات حكومية، ومن بعض منظمات الأمم المتحدة فضلا عن الاشتراكات والأوقاف، إلي جانب دخول بعض الكنائس في استثمارات عينية ومالية ضخمة، كما هو الحال لدي الفاتيكان والكنيسة الأنجليكانية، حيث بلغ عائد هذه الإستثمارات مبلغ ٧٥بليون دولار سنة ١٩٧٠م، وبلغت تبرعات الجمهور ١٣٩بليون دولار عام ١٩٨٦م. (٢)

وأراضي الإيبو من المناطق التي شهدت تدفق العديد من البعثات التبشيرية علي أراضيها علي فترات ليست بعيدة عن بعضها البعض، تمثل في مجملها غالبية المذاهب المسيحية، والسبب في ذلك قناعة كل مذهب من هذه المذاهب بضرورة نشر تعاليم المسيح وفق مذهبه هو، فهذه رسالة مكلف بها كل مسيحي يحيا في هذا الكون.
ولذلك لم يقتصر التبشير علي المبشرين الغربيين فحسب، بل قام كثير من المبشرين الأفارقة بهذه المهمة خاصة بعد أن رحل العديد من المبشرين الغربيين عن أفريقيا بسبب عدم ملاءمة الجو لهم ولكثرة الأمراض .... إلخ (٣)

ويمكن توضيح أهم البعثات التبشيرية الوافدة علي أراضي الإيبو علي النحو التالي:

أ- بعثة جمعية الكنيسة التبشيرية.« s. m. c.»

تعد بعثة جمعية الكنيسة التبشيرية، أول بعثة تبشيرية مسيحية تعمل في أراضي الإيبو، والتي بدأت عملها سنة ١٨٥٧ في مدينة أونيتشا بقيادة «صموئيل كروزر» S.A.Crowther ويرافقه في ذلك كلاً من « سيمون جونز» S.Jonas و «أوجست راديلو» Radillo. A، «تايلور» Taylor. J.C الذين قادوا العمل في تلك البعثة مدة ثلاثين عاماً منذ بدء نشاطها في أراضي الإيبو، وكانت هذه الفترة بمثابة اختبار وتحد لإرساء هذا الدين الجديد في مقابل الدين التقليدي المنتشر في كل أراضي الإيبو.

وفي تلك الفترة لم تستطع هذه البعثة أن تنصر إلا عدداً قليلاً يصل إلي قرابة ٥٠٠ فرداً من منطقة أونيتشا في الوقت الذي بلغ عدد السكان ما بين ١٠،٠٠٠إلي ٢٥،٠٠٠ نسمة (٤)

ويبدو مدي ضآلة هذا العدد خاصة إذا ما قورن مع عدد السكان أو مع الفترة الزمنية، ورغم أن هذه البعثة إن كانت قد بدأت نشاطها في أراضي الإيبو سنة١٨٥٧م فنشاطها بدأ في أفريقيا منذ أوائل القرن التاسع عشر(٥)

ومع ذلك استغرقت قرابة الخمسين عاما بعد دخولها أونيتشا سنة ١٨٥٧م حتي وصلت إلي مدينة أويري، وكا ن« دينس » Dennis T.T. أول مبشر يعمل لدي هذه البعثة في منطقة أويري وذلك في أبريل سنة ١٩٠٥م، أي بعد أن أسست الحكومة البريطانية الإستعمارية حكومتها في أويري تحت قيادة المندوب البريطاني « هارلود دوجلس» Harold M.Douglas. وكان « ليزلي بروبيان» Leslie probyn هو المندوب البريطانيالمسئول عن الجنوب النيجيري بأكمله في تلك الفترة وكان يشرف علي عملية توسعة نشاط جمعية الكنيسة التبشيرية من «أونيتشا» إلي «أويري» كان يتبع الكنيسة الإنجيلية هو والعديد من مساعديه.

ووقع الإختيار علي قرية « إجبو- Egbu» التي تقع جنوب مدينة أويري بحوالي ميلين تقريبا لتكون مركز جمعية الكنيسة التبشيرية في منطقة أويري(٦)

وتتبع جمعية الكنيسة التبشيرية المذهب البروتستانتي الذي ظهر في القرن السادس عشر علي يد « مارتن لوثر» (١٤٨٣م - ١٥٤٦م) خلال عهد الإصلاح الديني في أوربا بقصد إصلاح الكاثوليكية حيث احتج أصحاب هذا المذهب علي سلطة البابا بشأن الغفران والتبتل وإكرام القديسين والمطهر والقداس وأطلقوا علي كنيستهم اسم«الكنيسة الإنجيلية» (٧)

ب- البعثة الكاثولوكية الرومانية

البعثة الكاثولوكية الرومانية هي البعثة التي تلت بعثة جمعية الكنيسة التبشيرية « c.m.s.» في بلاد الإيبو. وكانت مدينة «أونيتشا» هي أولي المناطق التي دخلت من خلالها هذه البعثة أراضي الإيبو سنة ١٨٨٥م (٨)

وأقامت هذه البعثة أول مراكز تبشيرية لها في مدينة «أونيتشا» شرق نهر النيجر وفي منطقة «أسابا» Asaba في غرب نهر النيجر(٩)

وتنتمي هذه البعثة إلي الكنيسة الكاثولوكية الرومانية التي تخضع لسطة البابا والكرادلة، الذين يعتبرون أصحاب الحق الأول والأخير في تنظيم الكنيسة، حيث يعتبر البابا تلميذ السيد المسيح علي الأرض وإرادته لا تقبل النقاش(١٠)

وكان الأب « لتز-Lutz» هو أول مبشر لهذه البعثة في تلك المنطقة ، وكان «جوزيف شانهان» Joseph shanahan أول أسقف كاثوليكي في أراضي الإيبو.

وإذا كانت هذه البعثة دخلت أونيتشا سنة ١٨٨٥م فإنه لا يوجد تاريخ محدد لعملية توسيع هذه البعثة وامتداد نشاطها في أماكن أخري من أراضي الإيبو.
فلا يوجد تاريخ محدد لدخول تلك البعثة في منطقة أويري، لكنه بشكل عام كان أول قداس لهذه البعثة في أويري كان في قرية «أولاكو-Ulakwo» الواقعة جنوب مدينة أويري بحوالي ثلاثة أميال تقريبا وذلك قبل عام ١٩١٢م.

وبذلك تكون المدة التي استغرقتها هذه البعثة للإنتقال من أونيتشا إلي منطقة أويري أقل إذا ما قورن بالفترة التي استغرقتها جمعية الكنيسة التبشيرية في أراضي الإيبو التي خضعت للإستعمار البريطاني سنة ١٩٠٠م.
وكان «جوزيف ب.ويلان» Joseph B .welan هو أول أسقف للكنيسة الكاثولوكية الرومانية في منطقة أويري (١١)

جـ- البعثـــة الميثوديـــة

الميثودية هي حركة دينية إصلاحية قام بها الإخوة «تشارلز» و «جون ويزلي» في إكسفورد سنة١٧٢٩م لإحياء كنيسة إ نجلترا (١٢)
وتنقسم البعثة الميثودية في أراضي الإيبو إلي بعثتين هما

١- الميثودية الأولية - The primitive methodist.

٢- الميثودية الويزليانية - The wesleyan methodist.

والميثودية الأولية هي البعثة الميثودية الأولي التي دخلت أراضي الإيبو سنة ١٩١٠م وأقامت كنيسة لها في منطقة « بندي- Bend» سنة ١٩١٣م، كما قامت بإنشاء كنائس تابعة لها في مناطق Umuahia, Ihubi, Udi, Uzuakoli,Ouim في الفترة بين سنة ١٩١٧م إلي سنة ١٩٢٥م.

أما **الميثودية الويزليانية** فظل نشاطها قرابة الخمسين عاما في الجنوب الغربي لنيجيريا ، وذلك منذ وصول «فريمان» Freeman. T.B الإبن المولود من أب زنجي وأم إنجليزية إلي منطقة باداجري Badagry في ٢٤ سبتمبر سنة١٨٤٢م، ليكون أول مبشر للميثودية الويزليانية في نيجيريا.

ولذلك يعد نشاط هذه البعثة في منطقة الإيبو حديث العهد إذا ما قورن بالمنطقة الجنوبية الغربية من نيجيريا.
وفي الوقت الحاضر حدث قدر كبير من الاندماج بين البعثة الأولية والبعثة الميثودية الويزليانية للدرجة التي يصعب معها التمييز بين البعثتين (١٣)

د- بعثــة المعمدانيين

المعمدانيون- Baptist هم فرقة بروتستانتية أنشأها القس الإنجليزي «جون سميث» سنة ١٦١٢م والذي تزعم جماعة من المنفصلين عن الكنيسة الإنجليزية(١٤)
وتري هذه الفرقة أن التعميد لا يجب أن يتم إلا بعد أن يبلغ المرء سنا يمكنه من فهم معناه، وهو يقوم في الغالب علي تطهير المرء بالماء وتسميته بأحد الأسماء المسيحية منذ طفولته كرمز لتطهيره من الخطيئة وإدخاله في كنف الكنيسة(١٥)

وأول مكان إستقرت فيه هذه البعثة لبدء عملها في أراضي الإيبو كان في قرية «إهياجوا-Ihiagwa» ولتي تبعد حوالي ميلاً ونصفاً عن مدينة أويري في الاتجاه الجنوبي الغربي منها وذلك سنة١٩١٧م، ثم قام « جورج أماكيري » Georg

Amakiri « رئيس الكنائس والمدارس المعمدانية في مناطق باجاما Buguma، إنجيني Engenni، أبايا Abua، إكويري Ikwerre » بزيارة قرية إهياجوا سنة ١٩١٨م وقام بتأسيس الكنيسة المعمدانية بها.

ولقد عانت هذه الكنيسة في بادئ الأمر العديد من الصعاب والاضطهاد من قبل معتنقي الدين التقليدي في أراضي الإيبو بالإضافة إلي بعض أفراد الكنائس المسيحية الأخري الموجودة في تلك المناطق وأصبح الموقف غاية من السوء بالنسبة لها.

ومع ذلك لم يقتصر نشاط هذه البعثة علي قرية إهياجوا بل امتد للعديد من المناطق الأخري، ففي سنة ١٩١٩م تم إنشاء كنيسة معمدانية أخري في قرية أوبنزي Obinze, وفي سنة ١٩٢٠م تم إنشاء كنيسة معمدانية أخري في قرية إزيوبو Ezeobo بل زاد إتساع وامتداد نشاط هذه البعثة في كل أراضي الإيبو، ففي سنة ١٩٤٧م بدأ العمل في كل من منطقة إميرنو Imerienwe، ومنطقة أمايمو Amaimo، وفي سنة ١٩٥٠م بدأ العمل في إنوجو Enugu، وسنة ١٩٥٣م بدأ العمل في منطقة أونيتشا (١٦)

هـ - البعثة البرسبتريانية:

البعثة البرسبتريانية The presbyterian mission هي بعثة تابعة للكنيسة البرسبتريانية والتي يطلق عليها أيضا إسم الكنيسة المشيخية، وهي من الكنائس التي تتبع المذهب البروتستانتي، ويدير شئونها منتخبون، وأول من دعا إلي هذا النمط من الكنائس « جون كالفن » (١٥٠٩-١٥٦٤) وهو مصلح فرنسي نشر راية الإصلاح البروتستانتي في فرنسا ثم في سويسرا، وأنشأ مذهب عرف باسمه وانتشر في هولندا واسكتلندا(١٧).

ووصلت هذه البعثة إلي مدينة كالابار -Calabar الساحلية في نيجيريا سنة ١٨٤٦م وكان «مسترتون وادلي» H. masterton wadell أول مبشر لهذه البعثة في نيجيريا.

ولقد حظيت هذه البعثة بمكانة قوية في مناطق كالابار والايبيبو-Ibibio وامتد نشاطها في أراضي الإيبو في مناطق أوهيفيا Ohafia، وأبيريبا -Abiriba، وأروتشوكوا Aro-chukwu ، وظل نشاط البعثة والكنائس التابعة لها قاصرا علي تلك المناطق فقط في أراضي الإيبو لفترة طويلة، ويرجع ذلك للاتفاق الذي تم عقده بين الطوائف البروتستانتية الأساسة The major protestant في أراضي الإيبو في ظل مؤتمر الحدود التبشيرية « missionary

boundaries» سنة (١٩٠٩م -١٩١١م) والذي تم علي أساسه تحديد الحدود التبشيرية لكل من جمعية الكنيسة التبشيرية والكنيسة البرسبترريانية والكنيسة الميثودية، حيث اختصت جمعية الكنيسة التبشيرية بمناطق « أونيتشا، أواكا Awka إنوجوا، أويري»

واختصت الكنيسة البرسبتريانية بما يعرف الأن بولاية نهر كروس Cross River State وولاية أكوا إبومAkwa Ibom، آروتشوكوا ومنطقة أوهيفيا وأبيريبا، أفيكبو Afikpo، إكون Ikwon، إيزا Ezza ». هذا في حين اختصت الكنيسة الميثودية بمناطق أورون- Oron، وإكات- Ikat، وإكبين- Ekpene، وأبا - Aba، وبورت هاركورت- Port Harcourt،وأندورو- Indoro، وأميهيا- Umuahia، وأوزوكولر- Uzuakolr، وأوفيم- Ovim، وإهيبي- Ihube، وأجباني- Agbani»

وظلت الكنسية البرسبتريانية حافظة لهذا الاتفاق حتي نهاية سنة ١٩٦٠ وأوائل سنة ١٩٧٠م لكنها في سنة ١٩٧٠م قامت بإنشاء كنائس لها في كل من بورت هاركورت وأبا وأباكيليكي Aba kiliki، وأوموبا Omoba ومباوسي Mbawsi وأميهيا وأنوجو وإهاميفا Ehamufu وذلك في حين لم يكن هناك كنيسة واحدة للطائفة البرسبتريانية في منطقة أويري، لذا كان الأفراد المنتمون لتلك الطائفة والقائمون في منطقة أويري يؤدون عباداتهم وطقوسهم في كنائس بروتستانتية أخري موجودة في منطقة أويري، إلي أن تم افتتاح أول كنيسة برسبتريانية في منطقة أويري سنة ١٩٧٦م، ولم يقتصر الأمر علي ذلك فقط بل بلغ عدد الكنائس البرسبتريانية ست كنائس في منطقة أويري حتي يومنا هذا(١٨)

وهذا يعكس الحرص الشديد من قبل كل طائفة إلي وجود كنائس تابعة لها في كل منطقة من مناطق الإيبو لكي تستمر طقوسها وأفكارها ورسالتها التي جاءت من أجلها.

الهوامش

(١) إبراهيم عكاشة على: حركة التبشير الدينى فى جنوب السودان ١٨٩٩-١٩٤٧، رسالة دكتوراه «غير منشورة»، كلية الآداب ، جامعة القاهرة، ١٩٧٨، ص ص ١-٧.

(٢) كرم شلبى: مرجع سابق، ص ٢٢ .

(٣) نهلة عبد العظيم إبراهيم: تطور الحركة الثقافية فى نيجريا (١٩٠٠ - ١٩٦٠) وأثرها فى تطور الحركة الوطنية، رسالة دكتوراه «غير منشورة»، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، ١٩٩٤، ص٥٤.

(٤) P.N. Domnwachukwu: op. cit., p. 66.

(٥) D.V. Bersselaar: op. cit., p. 275.

(٦) P.N. Domnwachukwu: op. cit., p. 67.

(٧) حسين على حمد: مرجع سابق، ص ٥٢.

(٨) P.N. Domwachukwu: op. cit. pp. 70-71.

(٩) D.V. Bersselaar: op. cit., p. 282.

(١٠) حسين على حمد: مرجع سابق، ص ١٦٧ .

(١١) P.N. Domnwachukwu: op. cit., p.p. 72 - 73.

(١٢) أحمد صقر نجم: مرجع سابق، ص١٠٦ .

(١٣) P.N. Domnwachukwu: op. cit., p.p. 83 - 84.

(١٤) حسين على حمد: مرجع سابق، ص ١٩٣.

(١٥) أحمد صقر نجم: مرجع سابق، ص ١٠٧ .

(١٦) P.N. Domnwachukwu: op. cit., p.p 75 - 78.

(١٧) حسين على حمد: مرجع سابق، ص ص ٤٣ - ٤٤.

(١٨) P.N. Domnwachukwu: op. cit., p.p 86 - 87.

الفصل السادس

آليات نشر المسيحية في أراضي الإيبو

يستخدم المنصرون- ولازالوا - عدداً من الأساليب والوسائل في نشر تعاليم الإنجيل والتعريف بالمسيح، وإن كانت هذه الأساليب والوسائل قد تطورت مع الزمن، وطوعت نفسها لمقتضيات الواقع وأحواله بحيث أصبح استخدام وسيلة أو أسلوب ما يخضع بالدرجة الأولي لطبيعة الأفراد المستهدفين في المنطقة التي يجري فيها التنصير، من حيث ظروفه وأحواله السياسية والإجتماعية والإقتصادية والثقافية الخ......

وبالرغم من أن النشاط التنصيري شهد طفرة واسعة إبان الكشوف الجغرافية لأصطحاب المكتشفين مجموعات من الرهبان معهم للتبشير بالنصرانية في تلك الأراضي الجديدة، إلا أن الطفرة الهائلة في النشاط التبشيري كانت مع بداية القرن التاسع عشر، حيث لم يعد العمل التنصيري قاصراً علي أفراد من الرجال والنساء التابعين للطوائف المسيحية، بل أصبح نشاطا جماعيا دوليا تقوم به جمعيات ومنظمات أخذت علي عاتقها مسؤلية هذا العمل.

فقامت بتجميع الأموال وإنشاء الكنائس وتزويد المنصرين بكل ما يحتاجه عملهم من إعداد وتدريب وإمكانيات مادية، وعندئذ بدأت الحاجة إلي استخدام أساليب ووسائل جديدة، إلي جانب التوسع في إنشاء الكنائس وتزويدها بالمنصرين، وإعداد منصرين جدد من بين السكان المواطنين ثم ظهرت الحاجة إلي استخدام التعليم والخدمات الصحية والإجتماعية في العمل التبشيري، فقامت البعثات بتأسيس المدارس والمستشفيات في مختلف البلدان فضلا عن تقديم المساعدات المادية للمحتاجين.

لأنه إذا كان التنصير عملية اتصاليه بالدرجة الأولي، تقوم علي الإقناع ومخاطبة العقول والعزف علي الإستمالات العقلية والعاطفية من خلال الوعظ والإجتماعات والندوات أو في إطار التعليم المدرسي، فلاشك أن التعليم ذاته والمستشفيات والمستوصفات والخدمات الإجتماعية تُعد وسائل غير مباشرة لهذا الاتصال (١)

ومن هنا يأتي التنوع والاختلاف في والوسائل والأساليب المستخدمة في عملية التنصير من مجتمع لآخر، لكن من المتوقع أن تتشابه هذه الوسائل والأساليب التنصيرية خاصة في المجتمعات الأفريقية، التي يوجد تشابه فيما بينها بشكل كبير سواء من النواحي الروحانية أم في النواحي الثقافية والإجتماعية، ولذا يمكن القول بوجود

تشابه إلي حد كبير في أساليب التنصير لمعظم المجتمعات الأفريقية، ووجود تشابه في هذه الأساليب بين الطوائف المسيحية القائمة علي عملية التبشير في هذه المجتمعات.

ولذلك لم يتسم نشاط البعثات التبشيرية في أراضي الإيبو بأي عناصر خاصة تميزه عن نظيره في المناطق الأخري من نيجيريا سوي أنه بدأ في وقت متأخر قليلا عن بدايته في المنطقة الجنوبية الغربية(٢)

واعتمدت البعثات التبشيرية الموجودة في أراضي الإيبو علي مجموعة من الأساليب والوسائل التنصيرية، والتي من شأنها -من منظور البعثات- نشر الدين الجديد وترسيخه في قلوب معتنقيه.

فلقد اعتمدت البعثة الكاثولوكية الرومانية علي سبيل المثال علي أربع وسائل أساسية في نشر مبادئها داخل أراضي الإيبو منذ القرن التاسع عشر وتتمثل في:

١- الاعتماد علي الدور النفسي القوي الذي يلعبة الإنجيل في التأثير علي الاخرين.
٢- إتاحة فرص التعليم وخاصة معرفة القراءة والكتابة.
٣- تقديم الخدمات الطبية.
٤- فك أسر الرقيق وإعطائهم حقوقهم الإجتماعية (٣)

وتعكس هذه الوسائل مدي الإهتمام بالوسائل غير المباشرة في نشر المسيحية كإتاحة فرص التعليم وتقديم خدمات اجتماعية وطبية.

ويمكن أن نتناول بعض الأساليب والوسائل التنصيرية المباشرة وغير المباشرة التي أعتمدت عليها البعثات التبشيرية في نشر المسيحية وترسيخ مبادئها في أراضي الإيبو علي النحو التالي:

أ- الوعـــظ Sermon

الوعظ كما ورد في مختار الصحاح هو النصح والتذكير بالعواقب. (٤)

ويعرف «فيلبس بروكسي» Philips Brooks الوعظ بأنه هو تقديم الحق للناس بواسطة إنسان. (٥)

ووفقا لذلك يعد الوعظ عمل غير قاصر علي دين من الأديان، أو فترة من فترات الزمن، فالوعظ لم يبدأ مع اليهودية أو المسيحية أو الإسلام بل موجود منذ بداية التاريخ.

ويتحدد الوعظ المسيحي بأنه هو ذلك الوعظ الذي يبدأ بوعظ السيد المسيح « وعظ يسوع» مؤسس المسيحية، وهو أول واعظ فيها ، وتدلل الأناجيل الثلاث الأول علي هذه الحقيقة بتلك الكلمات: «كان يسوع يطوف المدن كلها والقري يعلم في مجامعها ويكرز ببشارة الملكوت، ويشفي كل مريض، وكل ضعف في الشعب» (متي ٩: ٣٥)

وكانت الفكرة المحورية في وعظ « يسوع » تختص بملكوت الله والتي جاء لكي يوضحها ويشرحها ويبسطها ويعلنها، وكان ويتسم في وعظه بالبساطة والوضوح سواء في اللغة أو الأسلوب أو المحتوي.

ثم يأتي بعد وعظ يسوع ما يسمي بالوعظ الرسولي، وهم تلاميذ يسوع الذين تدربوا برفقته واتباعهم له، ويأتي بعدهم وعظ الآباء وهم آباء الكنيسة الأوائل ثم تأسس بعد ذلك نظامان للوعظ:عام «١٢١٥»: وعظ الأخوة الدومينكان، ووعظ الفرنسيسكان، حيث أدرك النظامان أهمية الوعظ لإصلاح الفساد المتفشي في الكنيسة والمجتمع (٦)

ويبدو مما سبق أن **الوعظ** عملية متواترة في تعاقبها منذ وعظ السيد المسيح وحتي الوقت الحاضر ، ولذا كان الوعظ من بين الأساليب التي استعانت بها البعثات التبشيرية في العمل التبشيري بأراضي الإيبو، واستخدموه في كل مكان ذهبوا إليه، ليبشروا بالمسيحية ،فكان يتم في المنازل وميادين القري وساحات المدن وفي المدارس ودور العبادة ...الخ

ويتم الوعظ في أغلب الأحيان في إطار إجتماعي، حيث يوجد متحدث «مبشر» يستأثر بالحديث «الوعظ»، ومتلقون لهذا الحديث، والهدف هو حث هؤلاء الأفراد علي التخلي عن دينهم التقليدي وإدخالهم في المسيحية، وحثهم علي طاعة السيد المسيح (٧)

ولذلك تعد شخصية الواعظ من أهم العوامل المؤثرة في عملية الوعظ الديني، فالوعظ يحمل في ذاته عاملين هامين هما الحق « العقيدة المراد نشرها » وشخصية الواعظ، ومن غير المستطاع الفصل بين هذين العاملين، فالوعظ هو إحضار الحق ، وذلك من خلال شخيصة ما، والحق عامل ثابت، أما الشخصية فهي عامل متغير،

ولذلك يؤكد الكثيرون من علماء اللاهوت المسيحي علي ضرورة أن تتسم شخصية الواعظ بأربع سمات هامة هي:

١ - الإخــلاص

والإخلاص هو أن يعي الواعظ ما يقوله علي المنبر، وأن يحيا ما يقوله بعيدا عن المنبر في حياته اليومية، وهذا معناه أن الرعاة والوعاظ مدعوون ليكونوا أمثلة لحياة النضج المسيحي وسط الشعب، لأن غياب الإخلاص معناه الرياء

٢ - الحماس والإقناع العميق

والحماس هو أن يشعر الواعظ بما يقوله، والحماس والإقناع يُبني علي الإخلاص ويظهران فــي المشاعر العميقة التي تملأ الواعظ، ويظهران في تواصل الواعظ مع شعبه بكل فاعلية.

٣- الشجاعــة

ويشير « ستوت » في حديثه عن شجاعة الواعظ إلي ما قاله « فيلبس بروكس » بأنه إن كنت تخاف الناس أصبحت بذلك عبدا لآرائهم، فاذهب وافعل شيئا أخر، لأن ذلك سوف يخرجه عن قول الحق.

٤- التواضـع

يشير القس «أميرجيد» إلي أن التواضع جوهرة، لكنه جوهرة بلا بريق، يأتي نتيجة رؤية النفس علي حقيقتها، فالتواضع يُبني علي الحق وليس الكبرياء. (٨)

وإذا كانت السمات السابقة سمات يرجي توافرها في شخصية الواعظ. فيجب أن يتوافر لدي الواعظ قدر كبير من العلم والمعرفة بالكتاب المقدس واللاهوت المسيحي بأكمله.،كما يجب أن يكون المبشر علي دراية ببعض اللغات الأخري خاصة إذا كان يبشر في مجتمع، يتحدث لغة أخري لكي يتمكن من إيصال دعوته.

ولم يكن من اليسير علي أفراد البعثات التبشيرية في غالبيتهم، تعلم لغة الإيبو رغم بذل العديد من المجهودات لذلك والتي منها إصدار « كروزر» Crowther أول كتاب مطبوع عن لغة الإيبو بعنوان Primer- Ibo سنة ١٨٥٧، لكي يستخدمه المبشرون في تعليم هذه اللغة. لكن هذه المحاولات بأت في مجملها بالفشل وذلك لأن لغة الإيبو لغة واحدة لكنها ذات لهجات متعددة (٩)

ومن ثم لا يستطيع المبشر التبشير في أكثر من مكان في أراضي الإيبو لصعوبة إتقان كل هذه اللهجات. ولذلك تم التركيز علي اللغة الإنجليزية في عملية التبشير والوعظ، والعمل علي تخريج رجال دين جدد من أبناء هذه القبيلة، يكون في إمكانهم توصيل الإنجيل من اللغة الإنجليزية إلي لغة الإيبو.

ب- الـدرامــا الدينـيـة Religious Drama

الفن أداة من أدوات التواصل بين الأفراد، شأنه في ذلك شأن الكلام، وإذا كان الكلام ينقل فكر الإنسان وانفعاله إلي الأخر، فإن الفن ينقل انطباع الإنسان إلي الإنسان(١٠)

أو كما يذهب «تولوستوي» بأن الفن هو أحد وسائل الإتصال بين الناس (١١)

والدراما هي إحدي أشكال الفن، والتي لديها قدرة كبيرة علي توصيل ما يراد توصيله إلي حد كبير.

وهي في أساسها عبارة عن حكايات مجسدة يقوم بها مجموعة من الأفراد في سياق منظم ومحكم.

وتعد الحكاية من الطرق الهامة في إيصال الحكم والأمثال والعظات والنصح والإرشاد فيما بين الأفراد داخل المجتمعات، وهي من الأمور المألوفة والمنتشرة في مختلف ربوع المجتمعات الافريقية.

وهناك بعض أجزاء الكتاب المقدس يمكن توصيلها في إطار الحكي القصصي، مما يسهل عملية فهمها للأفراد المتلقين لمثل هذه الحكايات.

وحكي مثل هذه الحكايات -كما هو متوقع لدي المبشرين- من شأنه أن يزيد الإطار المعرفي للمتلقين، ويساعد علي المدي البعيد في تعميق العقيدة الإيمانية للمسيحين من جانب، ويساعد علي دخول أفراد جدد إلي المسيحية من جانب آخر(١٢)

وعملية الحكي ذاتها تتعدد في أشكالها بين حكي لفظي يتم علي هيئة حوار، وحكي يتم عن طريق الدراما.

وتعد الدراما الدينية أحد أنماط الدراما والتي تهتم في الأساس بالمحتوي الديني، والدراما المسيحية هي أحد أنماط هذه الدراما الدينية.

وتقوم الدراما المسيحية في بنائها الأساسي علي القصص الموجودة في الكتاب المقدس، مثل آلام السيد المسيح وموته وبعثه .....إلخ

حيث يسعي هذا النمط من الدراما إلي إبراز ما وراء هذا العمق التراجيدي من تشخيص حياة السيد المسيح، حيث يتوقع من هذا النمط الدرامي العمل علي تهذيب النفوس الإنسانية، وحملها علي التراحم والعطف وتطهير النفس، وجعلها أكثر روحانية، وتوطيد علاقة الإنسان بربه.

ويشير كلاً من« فرد استمان» Fred Eastman و « لويز ويلسون Louis Wilson» إلي أن استخدام الدراما في الكنسية ليس مجرد إحدي الوسائل البسيطة لجعل قصص الكتاب المقدس شيقة وممتعة للأطفال، وإنما هي وسيلة لتفسير الكفاح الدائم للإنسان من المنطلق الديني(١٣)

ولذا تبنّي باباوات الكنائس تقديم قصص من التوراة وحياة المسيح وأعمال القديسين والصالحين ومعجزاتهم بشكل درامي، وجعلوا المسرح يقوم علي خدمة الكنيسة، حتي أنه أخذ شكل العرض الديني الثابت داخل الكنائس، ثم تطور ليصبح فرقا متجولة بعد ذلك(١٤)

والغرض من هذا أن العرض الدرامي يمكن للأفراد فهمه دون الحاجة إلي معرفة القراءة والكتابة، من خلال عملية التجسيد والحركة والانفعالات، بالإضافة إلي عنصري التشويق والمتعة.

والدراما الدينية في مجتمع الإيبو وسيلة هامة لتوصيل الإنجيل إلي الأفراد من خلال المشاهدة والاستماع لهذه الدراما.

ورغم ذلك يلاحظ علي هذه الدراما أنها دراما تفتقد في غالبيتها الطابع الثقافي لهذه المجتمعات، فهي دراما تصطبغ بالصبغة اليهودية أو اليونانية أو الرومانية أو الأوربية أو الأمريكية، مما يصعب علي أفراد الإيبو فهم المقصود من هذه الرموز، وتلك التصورات في بعض الأحيان لأنهم لا يمتلكون مثل هذه الأطر المرجعية لهذه الرموز وتلك التصورات، ولذا فالدراما الدينية داخل هذا المجتمع لا تزال غير وافية بالغرض المناط بها (١٥)

لكن علي الرغم من القصور التي تعاني منه الدراما الدينية في أراضي الإيبو - كأحد وسائل نشر المسيحية في هذا المجتمع - إلا وأنها قد تكون من الوسائل الهامة التي تفيد العديد من فئات المجتمع الكبار والصغار، الرجال والإناث المتعلمين، وغير المتعلمين لأنها لا تشترط شروطاً مسبقة مثل ضرورة معرفة القراءة .... الخ وذلك في حال صياغتها وفقاً للهوية الإثنية عند هذا المجتمع.

جـ - الكتابات المسيحية - Christian Literature

تعد الكتابات المسيحية بما تتضمنه من كتب ومجلات ودوريات وكتيبات ....إلخ من الوسائل الاعلامية الهامة للتبشير بالإنجيل في أراضي الإيبو، حيث تعتمد الكنائس والتبشيريات المختلفة في هذا المجتمع علي هذه المواد الاعلامية للتعريف بالمسيحية وقيمها ومبادئها (١٦)

وتعد جمعية ترجمة الإنجيل في أفريقيا من إحدي المؤسسات الهامة والمهتمة بهذا الغرض، فهي وحدها تتولي إعداد أكثر من ٤٤٢ ترجمة للإنجيل وبلغ عدد النسخ التي جري توزيعها من هذا الكتاب سنة١٩٨٦م ما يقرب من ٦٦مليون نسخة، إلي جانب ٤٦مليون نسخة من العهد القديم « التوراة »، فضلا عن النسخ الصوتية التي يجري تسجيلها علي شرائط صوتية من أجل الأميين، أو المطبوعة بالأحرف البارزة «طريقة برايل» للمكفوفين (١٧)

ومع ذلك فهناك العديد من اللغات الأفريقية التي لم يترجم إليها الكتاب المقدس، أو حتي ترجمة العهد الجديد بتلك اللغات أو بلغات أخري يستطيع الأفارقة فهمها (١٨)

وفي سنة ١٩١٣ استطاع المبشر «دنس» Dennis. T.J أن ينجز عملية ترجمة الكتاب المقدس إلي لغة الإيبو(١٩)

ليس هذا فحسب بل تمتلك الطوائف الكبيرة في أراضي الإيبو مثل الكاثولوكية الرومانية والطائفة الانجليكانية Anglicans مطابع تقوم بإصدار مثل هذه المطبوعات، ففي مدينة أويري توجد مطبعة أسمباتا- Asumpta Press وهي مطبعة كاثولوكية، كما يوجد مطبعة الأسقفية لمدينة أويري وهي مطبعة أنجليكانية، بل إنه علي الرغم من عدم وجود مطبعة معمدانية Baptist Press في أراضي الإيبو، ولا توجد إلا مطبعة واحدة لهذه الطائفة في مدينة أبيدان Ibadan في الجزء الجنوبي الغربي لنيجيريا ، فإن هذه المطبعة تقوم بطبع كل المطبوعات الخاصة بهذه الطائفة، وتقوم بتوزيعها علي الكنائس التابعة لهذه الطائفة في نيجيريا كلها بما في ذلك أراضي الإيبو.

ورغم أن هذه الأدبيات تعد من الوسائل الهامة للتبشير بالإنجيل خاصة مع عدم وجود أي قيود علي نشرها خاصة في الجزء الجنوبي الشرقي لنيجيريا، - لأنه لا يوجد أي نوع من الرقابة علي هذه المطبوعات- وعلي الرغم من أن لغة هذه الأدبيات تكون في الغالب باللغة الانجليزية وبلغة الإيبو (٢٠)

إلا انه يمكن الإشارة إلي أنها وسيلة تبشيرية عاجزة علي الانتشار خاصة في العقود الأولي من التبشير بالمسيحية نظرا لعدم الإلمام بقواعد القراءة في الغالبية العظمي لأفراد الإيبو.

وعلي ذلك يمكن القول بأنها وسيلة تبشيرية لفئة المتعلمين في أراضي الإيبو. ومن ثم يمكن التنبؤ بالفئة المستهدفة من هذه الوسيلة، وهم أؤلئك الذين يترددون علي المدارس التابعة لهذه البعثات التبشيرية ، أو أؤلئك الذين نالوا قسطا من التعليم في هذه المدارس، وليس مجتمع الإيبو بأكمله.

د- التعليم

التعليم هو أول مظهر من مظاهر التقدم والحضارة، ومن أول عوامل النهوض بالشعوب، وهو أحد العناصر الأساسية لمحتوي العملية التربوية، والتي هي بدورها نظام اجتماعي يقوم بدور وظيفي في إعداد وتنشئة وتشكيل النشيء من خلال وسائط ومؤسسات وأجهزة لها فاعلية تكوين الفرد مثل المدرسة(٢١)

ولأهمية التعليم في عملية التغير الإجتماعي والثقافي .....الخ داخل المجتمعات، ترتب عليه اختلاف في طبيعة المحتوي التعليمي بما يتناسب مع طبيعة هذا التغير ووفقا للهدف منه، ومن هنا تعددت أنواع التعليم وفقا للهدف منه، فهناك التعليم الوطني والتعليم الاستعماري والتعليم الديني .....الخ

ويعد التعليم من بين الوسائل الهامة في العمل التنصيري للبعثات التبشيرية، لذلك تم الاعتماد عليه بشكل كبير في نشر المسيحية.

وتقوم المدرسة بدور كبير وأساسي في إنجاز العملية التعليمية، حيث يقع عليها مسئولية توصيل المحتوي التعليمي للأفراد الملتحقين بها، ليس هذا فحسب، بل تعد المدرسة أحد نظم التفاعل الاجتماعي داخل المجتمع، فالمدرسة نقطة التقاء لعدد كبير من العلاقات الاجتماعية المتداخلة والمعقدة، وهذه العلاقات هي المسالك التي يقوم عليها التفاعل الاجتماعي، وتعد القنوات التي يجري من خلالها التأثير الاجتماعي (٢٢)

ويشير «إيشي» Isichei إلي أن المدارس تعد من أهم الطرق المستخدمة بالنسبة للبعثات التبشيرية لاستمالة وإقناع الصغار في تلك السنوات، كما يؤكد «شاناهان» Shanahan ذلك الأسقف الذي قدم إلي نيجيريا سنة١٩٠٢م وأقام في منطقة أونيتشا علي أن المدرسة هي أنسب وسيلة للتبشير في أراضي الإيبو خاصة بالنسبة لتلك العقول والنفوس الراغبة في الطموح والساعية لما هو أفضل (٢٣)

ولذلك يتصور البعض بأن إنشاء المدارس في المناطق الوثنية كان - ولاشك - فرصة كبيرة لتعليم الأطفال مبادئ النصرانية وتعاليم الإنجيل والسلوك النصراني في مجمله وتنشئتهم علي هذا الأساس (٢٤)

وما يؤكد هذا التصور هو رأي المبشرين أنفسهم، في أن التعليم ليس وسيلة ليعرف المريدون كيفية قراءة الكتاب المقدس والصلوات والترانيم فقط، وهي الهدف الأسمي للبعثات- بل أيضا وسيلة لدمج المؤمنين في إطار إجتماعي أوسع وأكبر من الإطار الإجتماعي القبلي الضيق المحدود، عن طريق إكتساب الأطفال الذين يذهبون للمدارس التبشيرية لغة واحدة وعادات وتقاليد واحدة ودين واحد(٢٥)

وبالتالي لم يكن الهدف من التعليم نشر الدين المسيحي في أراضي الإيبو، بل كان أيضا وسيلة لطمس هوية الأفراد داخل هذا المجتمع، من خلال المحتوي التعليمي المقدم لهم، وفرض اللغة الإنجليزية عليهم، وتهميش القيم الثقافية لديهم.

ويبدو ذلك أمرا ضروريا بالنسبة للبعثات التبشيرية لترسيخ تعاليم المسيح في قلوب معتنقي الدين الجديد، لأنهم يؤكدون مسبقا بعدم توافق هذه الثقافة التقليدية في مجملها مع تعاليم الدين الجديد .

وفي حين أن البعثات التبشيرية تنظر إلي التعليم باعتباره أحدي وسائل التنصير، فإن الإيبو نظروا إلي التعليم نظرة مغايرة واعتبروه وسيلة للحصول علي وظائف جديدة، وطريقاً لتكوين الثروات، ووسيلة للمعرفة، وللتوافق مع الحقيقة الاستعمارية الجديدة.

ولذلك يعمل الأباء بكل جهد وبكل ما لديهم من عزم علي توفير المال اللازم لإرسال أبنائهم للمدارس.

وكان لرغبة الإيبو وإقبالهم علي التعليم أثره علي الغالييبة العظمي من الطوائف المسيحية للأقدام علي إقامة المدارس في أراضي الإيبو.

فقامت بعثة جمعية الكنيسة التبشيرية C.M.S.والبعثة الكاثولوكية الرومانية R.C.M. ببناء العديد من المدارس الابتدائية في أراضي الإيبو ، كما قامت البعثة المعمدانية والبعثة البرسبترييانية والبعثة الميثودية اللاتي أتت بعد ذلك ببناء مدارس ابتدائية خاصة بهم في أراضي الإيبو، وكان يوجد للبعثة المعمدانية وحدها - فقط - علي سبيل المثال قبل الحرب الأهلية في نيجيريا (١٩٦٧- ١٩٧٠) خمس مدارس ابتدائية في قري تابعة لمدينة أويري فقط وكان يطلق علي هذه المدارس اسم المدارس المعمدانية اليومية- Baptist Day School ويأتي الاهتمام بالمدارس الابتدائية للعديد من الأسباب من أهمها:

١- الأطفال في هذا السن أكثر الفئات العمرية استجابة لمطالب الآخرين وتقليدا للكبار. وبالتالي يسهل تطويعهم وتشكيلهم لما ترغب فيه هذه البعثات.
٢- الأطفال في هذا السن يسعون إلي معرفة الواقع المحيط بهم ويكونوا أكثر رغبة في التساؤل، ومن ثم يسهل غرس القيم الثقافية والتعاليم المسيحية الجديدة دون عناء.
٣- يُعتقد أن الأطفال في هذا السن لم يكونوا قد استطاعوا اعتناق الأفكار والمعتقدات والمفردات الثقافية التقليدية.

ورغم هذا لم يقتصر اهتمام البعثات التبشيرية في مجال التعليم علي التعليم الإبتدائي فقط بل أمتد ليشمل التعليم بعد الإبتدائي.

فلقد زادت المدارس اللاهوتية -Theological Schools في أراضي الإيبو. تفاوتت في مدي تخصصها من مدارس تقوم فقط بتدريس الكتاب المقدس Bible Schools إلي مدارس عليا لدراسة اللاهوت Thcological Seminaries.

وتعتبر بعثة جمعية الكنيسة التبشيرية C.M.S. أول بعثة اهتمت بالتعليم بعد الإبتدائي في آراضي الإيبو، وكانت أولي المحاولات لها في هذا الاتجاه هو إنشاء مدرسة لتعليم الديانة الجديدة في مدينة لوكوجا -Lokoja ، وهي مدينة ليست من مدن الإيبو لكنها توجد في الشمال الغربي لإحدي مدن الإيبو وهي مدينة أنوجو Enugu ، كان معظم طلاب هذه المدرسة من أبناء الإيبو ثم تم نقل هذه المدرسة إلي مدينة أسابا ثم إلي مدينة إنيني Inyienu ثم أخيرا إلي مدينة أوكا سنة ١٩٠٤، وفي هذه المدينة تم تطوير هذه المدرسة فأصبحت شعبتين: إحداهما لتخريج المعلمين والأخري لتخريج رجال الدين.

كما قامت الطائفة الكاثولوكية بإنشاء مدرسة عليا للاهوت سنة١٩١٣م في إحدي القري البعيدة وهي قرية إجبريم Igbariam لكي تتجنب الفساد المفترض وجوده في حياة المدينة ، وفي سنة١٩١٨م أوقفت البعثة العمل بالمدرسة ثم عاودته سنة١٩٢٨م بعد أن أعادت المدرسة إلي إحدي شوارع مدينة أونيتشا. (٢٦)

وليس معني ذلك أن المدراس اللاهوتية هي وحدها القائمة علي تعليم الدين المسيحي دون غيرها من المدارس، فالبعثات التبشيرية لم تفصل بين التعليم والتنصير بل لازمت بينهما. (٢٧)
ويمكن التدليل علي ذلك من خلال بعض الأمثلة منها:
١- الأطفال الذين تعلموا في مدارس جمعية الكنيسة التبشيرية تلقوا تعاليم ومبادئ الدين المسيحي كمحور أساسي Centerpiece في دراستهم وليس مجرد مجموعة من الدروس الثانوية. (٢٨)
٢- أول راعي للكنيسة المعمدانية في قرية إهياجوا- Ihiagwo هو أيضا مدرس المدرسة التابعة لهذه الكنيسة في تلك القرية، وكذلك الأمر بالنسبة للمدارس الموجودة في قرية أوبنزي وأزبيدو Eziobado وذلك حتي سنة ١٩٤٣م حيث كانت المدارس المعمدانية مدارس ذات مدرس واحد فقط Teacher - One school وكان مكلفا بكل من المدرسة والكنيسة علي حد سواء.
٣- قامت الميثودية الأولية سنة١٩٢٣ بإنشاء مدرسة للمعلمين، بالإضافة إلي مدرسة ثانوية في منطقة أوزاكولي Uzuakoli، لكنهم كانوا يركزون في هذه المدارس علي العملية الدينية ونشر الدين المسيحي أكثر من اهتمامهم بالعملية التعليمية ذاتها.

فالتعليم عند البعثات التبشيرية لابد وأن يكون في خدمة الدين والكنيسة، ولذلك فمحتوي التعليم كان يتم تشكيله وفقا لهذا الهدف، لأن التعليم يعمل علي غرس الدين في نفوس المتعلمين ، ويعكس هذا مدي الارتباط بين التعليم والتنصير داخل مجتمع الإيبو.

وإذا كانت البعثات التبشيرية قد لازمت بين التعليم والتنصير، فقد لازمت أيضا بين تعليم الفتية والفتيات، فكان هناك اهتمام من قبل هذه البعثات تجاه تعليم الفتيات وذلك لأن المجتمع لا يسير بأحدهما دون الآخر، وتعاليم المسيح تشمل الرجال والنساء، ولا يتصور أن تنتشر المسيحية وتترسخ في مجتمع ما دون استهداف النساء أيضا بالعمل التنصيري، والتعليم من الوسائل الهامة لهذا العمل التنصيري، ومن هنا كان الاهتمام بتعليم الفتيات في أراضي الإيبو من قبل البعثات التبشيرية، لكنه كان اهتماما متأخرا خاصة في التعليم بعد الابتدائي .

فقامت بعثة جمعية الكنيسة التبشيرية C.M.S. بإقامة مدارس تابعة لها خاصة بالفتيات والسيدات في قرية إجبوEgbu، الهدف منها تعليم الفتيات وتدريب السيدات علي إقامة بيوت ذات طابع مسيحي Christian- homes

وكانت أول مدرسة للفتيات تابعة للبعثة الكاثولوكية في أراضي الإيبو سنة١٩٦٥م والتي سميت الأن باسم مدرسة أويري الثانوية للبنات.

كما أقامت البعثة المعمدانية سنة ١٩٦٧م المدرسة المعمدانية الثانوية للبنات في مدينة إنوجو Enugu والتي وقف العمل بها بسبب الحرب الأهلية في نيجيريا (٢٩)

وعلي ذلك يمكن القول بأن الفضل الأساسي في نشر التعليم وتأسيس العديد من المدارس للقيام بهذه العملية، يرجع في الأساس إلي البعثات التبشيرية في أراضي الإيبو.

وتشير بعض الكتابات إلي أنه في سنة ١٩٢١م بلغ عدد المدارس التابعة للبعثة الكاثولوكية في المنطقة الشرقية والجنوبية الشرقية لنيجيريا حوالي ٥٣٣ مدرسة، وبعثة جمعية الكنيسة التبشيرية حوالي ٣٨٠ مدرسة الكثير منها في مدينة أويري وأونيتشا.
ولعل هذا هو الدافع للوطنيين في المجلس الوطني النيجيري الكاميروني National Council ofNigeria and Camerons (N.C.N.C) للسعي بكل جهد لبسط نفوذهم علي هذه المدارس التابعة للبعثات التبشيرية واستخدامها في تحقيق أهدافهم الوطنية لكن الكنائس قاومت ذلك بكل ماهو متاح لديها من قوة، إلي أن وضعت الحكومة الوطنية، يدها علي هذه المدارس وغيرها بعد الحرب الأهلية في نيجيريا. (٣٠)

هـ - الخدمات الطبية والاجتماعية

١- الخدمات الطبية

يقول السيد المسيح « وفيما أنتم ذاهبون اكرزوا قائلين أنه قد اقترب ملكوت السموات اشفوا مرضي، وطهروا برصا، أقيموا موتي، أخرجوا شياطين مجانا أخذتم مجانا أعطوا» « إنجيل متي١٠:٧-٨ »

ورغم ذلك لم تظهر أهمية العلاج كوسيلة من وسائل التبشير إلا في الربع الأخير من القرن التاسع عشر عندما تكونت الجمعيات الطبية في أوربا وأمريكا والتي تقوم بتأهيل الأطباء والممرضين في مراكز التبشير

ومن ثم أصبحت الإرساليات العلاجية medical evengelistic missions من وسائل التبشير الهامة .

ولقد أرتبط الاهتمام بهذا النوع من الإرساليات بدوافع متعددة من بينها، ما أكده دكتور « كوك » الذي أنشأ الإرسالية الطبية في منجو بأوغندا حيث قال «إن أهداف هذا النوع من البعثات، هو أولا اضفاء روح الشفقة الدينية علي البعثات التبشيرية الحديثة، ولتأكيد حقيقة القرابة المشتركة بين أفراد الأسرة العالمية، ثم تمهيد الطريق للإنجيل إلي قلوب البشر، وأخيرا معالجة الناس من الأمراض» (٣١)

والاطباء والممرضات في كل المستشفيات والمستوصفات التي أنشأتها الإرساليات في كافة أنحاء العالم كانت خير عون للتنصير والمنصرين، فقد كانوا هم النصاري في زي ملائكة الرحمة، يقدمون العلاج ويسهرون علي راحة المرضي، ويقومون بكافة الخدمات مجانا أو بأجور رمزية جدا، ويتم ذلك كله باسم المسيح ومن أجله، ليصبح في النهاية هو «الشافي» وهو الذي يقدم لهؤلاء المرضي الخير والراحة والشفاء(٣٢)

ويبدو من ذلك أن الهدف الرئيسي من هذه البعثات هو هدف ديني مستترا في الثياب الإنساني، وساعيا لخلق روابط المحبة والتودد والتي من شأنها بناء جسور الثقة والاطمئنان في نفوس هؤلاء الأفراد المراد تنصيرهم من قبل هذه البعثات، مما يجعلهم أكثر طواعية واستجابة لما يقوله أعضاء هذه البعثات.

هذا بجانب أن وجود أطباء وممرضين في مراكز التبشير يزيل عن الادارة المركزية للإرساليات التبشيرية عناء التفكير عن صحة المبشرين، هذا فضلا عن أن وجود المبشر الطبيب في المجتمعات التي تمارس التعاويذ والتمائم والسحر لعلاج المرضي، يساعد في القضاء علي نفوذ هؤلاء العرافين الذين يمثلون أحد أعمدة المعتقدات الوثنية (٣٣)

لذلــك تواجـدت مثل هــذه البعثـات فــي مختلف أرجاء القارة الأفريقية التي تعاني من افتقـاد الخدمات الطبية، وتعاني من أمراض كثيرة، وكان لأراضي الإيبو قدر من هذه البعثات.

فالبعثات الكاثولوكية الرومانية والميثودية والبرسبترياني والانجليكانية ....إلخ كان لها العديد من البعثات الطبية القوية في أراضي الإيبو، وكان « إيبام» Ibiam F.A أول طبيب مسيحي من أبناء الإيبو، وكان يشير البعض إليه علي أنه أول مبشر طبيب من أبناء الإيبو An Igbo medical missionary ، لأنه كان يعمل مع الكنيسة التبشيرية الأسكتلندية في جنوب شرق أراضي الإيبو.

وقامت بعثة الكنيسة التبشيرية C.M.S. بإنشاء مستشفي Iyi-Enu سنة ١٩٠٧ في أوجيدي Ogidi، كما قامت البعثة البرسبتريانية سنة١٩١٥م بإنشاء مستشفي في أوباري Uburu، وقامت الميثودية بإنشاء مستشفي في أمتشارا Amachara سنة ١٩٢٩، كما كان للكنيسة الكاثولوكية مجهودات لابأس فيها في المجال الطبي خاصة في مدينة أونيتشا منذ مطلع القرن العشرين، ففي سنة ١٩٣٥م قامت بإنشاء أول مستشفي لها في أراضي الإيبو وهي مستشفي Rosary Maternity Hospital في مدينة أونيتشا، وقامت أيضا في نفس العام بإنشاء أول مستشفي لها في منطقة أويري Owerri وذلك في قرية إميكوكو Emekuku، والتي تبعد عن أويري بخمسة أميال تقريبا، وبعدها قامت البعثة بإنشاء بعض المستشفيات الأخري في مناطق أخري من ولاية إمو.

وفي أواخر الثلاثينات وأوائل والأربعينات من القرن العشرين، قامت كل من بعثة الكنيسة التبشيرية والميثودية والبرسبتريانية معا بإقامة أول مستشفي لهم في منطقة أوميها Ummuhia باسم مستشفي الملكة اليزابيث The Queen Elizabith Ummuahia .

أما بالنسبة للخدمات الطبية التي قدمتها البعثة المعمدانية لقبائل الإيبو فكانت قليلة للغاية وتمثلت في المركز الطبي للأسنان الذي أقامه الدكتور واين لوجان Wayne Logon وزوجته في مدينة إنوجو Enugu سنة ١٩٥٩م.

ورغم هذا النشاط الخدمي الكبير التي كانت تقوم به الكثير من البعثات التبشيرية في أراضي الإيبو ، كان العائد من هذا النشاط قليلاً جدا بالنسبة لما كان متوقعا، وذلك للعديد من الأسباب من أهمها :

١- إفتقاد الاتصال بالمرضي بعد شفائهم وذلك لندرة خدمة الهاتف في أراضي الإيبو.

٢- القليل من القساوسة هو الذي لديه وسائل انتقال مثل الدراجات البخارية أو السيارات.

٣- صعوبة العثور علي محل إقامة لهؤلاء الأفراد خاصة الذين يعيشون في قري، حيث لا يوجد أسماء للشوارع أو أرقام للمنازل.
ومن ثم يقتصر النشاط التبشيري لهذه البعثات الطبية علي فترة مرض المريض فقط في كثير من الأحيان.

٢- الخدمات الاجتماعية

تعد الخدمات الاجتماعية من بين آليات نشر المسيحية، والتي اعتمدت عليها العديد من البعثات التبشيرية مستندة في ذلك علي بعض الآيات الإنجيلية مثل قول السيد المسيح« وأية مدينة أو قرية دخلتموها فافحصوا من فيها يستحق» « متي ١٠:١١».

لذلك كانت معظم الكنائس في أراضي الإيبو تشترك في العديد من البرامج الاجتماعية، والتي من شأنها سد بعض الحاجات لأفراد الإيبو. فنجد علي سبيل المثال أن الكنيسة الكاثولوكية في أراضي الإيبو كان لها دور كبير في إنشاء دور للأيتام مثل ملجأ أوكويل Okwelle Motherless Babies Home علي بعد أحد عشر ميل شمال مدينة أويري.

وتعد هذه الملاجئ بمثابة أديرة لهؤلاء الأطفال، لكي يتم تربيتهم فيها علي القيم المسيحية بعيدين في ذلك عن الدين التقليدي والثقافة المحلية.
ولذا تعد هذه الملاجئ من أفضل الآليات لخلق جيل جديد يعتنق المسيحية وفقا للأطر الثقافية الغربية.
وكان للحرب الأهلية « ١٩٦٧-١٩٧٠» في نيجيريا أثرها البالغ في نشاط البعثات التبشيرية والكنائس المحلية في مجال الخدمات الاجتماعية.

فلقد نجم عن الحرب الأهلية دمار للمتلكات وندرة في الطعام والرعاية الطبية .... الخ فالحرب حرمتهم من أراضيهم والحقت أطفالهم بالجيش، ورملت زوجاتهم ...الخ، وكان لجمعية الصليب الأحمر الدولية ولمجمع الكنائس العالمي World Council of Church, W.C.C. الدور الرئيسي في تقديم يد العون والمساعدة لأفراد الإيبو إبان الحرب (٣٤)

الهوامش

----

(١) كرم شلبى: مرجع سابق، ص –ص٤٣ – ٤٤.

(٢) وليم باسكوم & ملفيل هيرسكوفتز: مرجع سابق، ص ٢٧٦.

(٣) P.N. Domnwachukwu: op. cit., p74.

(٤) محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازى: مختار الصحاح ،عنى بترتيبه، السيد محمود خاطر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٠، ص ٧٢٩.

(٥) مكرم نجيب : علم الوعظ بين عالم النص الكتابى ومتغيرات المجتمع المعاصر، الجزء الأول، دار الثقافة، القاهرة، ٢٠٠١، ص ٢٢١.

(٦) نفس المرجع، ص ص ٩ – ١٧.

(٧) P.N. Domnwachukwu: op. cit. , p.p.79, 208.

(٨) مكرم نجيب، مرجع سابق، ص ص ٢٢١ – ٢٢٤.

(٩) D.V. Bersselaar: op. cit., p.p. 274 - 276.

(١٠) يوسف الشارونى: دراسات أدبية مع الدراما، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٩، ص ٧.

(١١) سامية أحمد على & عبد العزيز شرف: الدراما فى الإذاعة والتلفزيون، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٧١، ص١١.

(١٢) C.G.Baeta: Christianity in tropical Africa, Oxford University press, London, 1965, p. 333.

(١٣) P.N. Domnwachukwu: op. cit., p. 216.

(١٤) ساميه أحمد على & عبد العزيز شرف: مرجع سابق، ص ص ٢٦ – ٢٧.

(١٥) P.N. Domnwachukwu: op. cit., p.217.

(١٦) Ibid., p. 223.

(١٧) كرم شلبى: مرجع سابق، ص ٦٠.

(١٨) C.G. Baeta: op. cit., p. 330.

(١٩) http. // www. wowessays. com/dbase/af 1/nyv 151.

(٢٠) P.N. Domnwachukwu: op. cit., p.p. 223 - 224.

(٢١) محمد الجوهرى: المدخل إلى علم الاجتماع، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٤، ص ٣٩١.

(٢٢) نفس المرجع، ص ٤٠٥.

(٢٣) B.Sundkler & C. Steed: op. cit., p. 250.

(٢٤) كرم شلبى: مرجع سابق، ص ٤٩.

(٢٥) نهلة عبد العظيم إبراهيم: مرجع سابق، ص ٥٥.

(٢٦) P.N. Domnwachukwu: op. cit., p.p. 80, 133 - 138, 193.

(٢٧) نهلة عبد العظيم إبراهيم: مرجع سابق، ص ٥٥.

(٢٨) Bastian, misty: op. cit., p. 3.

(٢٩) P.N. Domnwachukwu: op. cit., p.p. 71 - 83.

(٣٠) P.B. Clark: west Africa and christianity, Edward Arnald, London, 1986, p. 101.

(٣١) إبراهيم عكاشة على: مرجع سابق، ص ص ١٤٥، ١٤٦.

(٣٢) كرم شلبى: مرجع سابق، ص ٥٠.

(٣٣) إبراهيم عكاشة على: مرجع سابق، ص ١٤٦.

(٣٤) P.N. Domnwachukwu: op. cit., p.p. 74, 81, 117, 118, 137.

الفصل السابع

السمات المميزة لحركة التبشير الديني في أراضي الإيبو

ارتبطت حركة التبشير الديني منذ البداية ببعض الآيات الإنجيلية التي تدعوا وتحث عالم المؤمنين من المسيحيين للكرازة بهذا الدين لكل من لا يدين به، متبعة في ذلك العديد من الأسس والقواعد المرتكزة علي تخطيط مسبق، وهادفة لغايات بعينها، ترتقي جميعها لغاية مثلي وهي تنصير كل من لا يدين بالمسيحية.
ولقد اتسمت حركة التبشير الديني في أراضي الإيبو بالعديد من السمات يمكن تناولها علي النحو التالي:

أ- مراحل حركة التبشير الدينى فى أراضى الإيبو

مر التبشير الديني في أراضي الإيبو بالعديد من المؤثرات، تفاوتت في تأثيرها علي عملية التبشير ذاتها، وكان الاستعمار البريطاني لأراضي الإيبو من بين هذه المؤثرات التي لعبت دورا بالغ الأهمية في حركة التبشير الديني داخل هذه القبيلة،

ولذا يمكن التمييز بين ثلاث مراحل لحركة التبشير الديني داخل قبائل الإيبو وهي

١- مرحلة ما قبل الاستعمار:

مرحلة ما قبل الاستعمار هي المرحلة التي بدأ التبشير الديني بالمسيحية فيها لقبائل الإيبو ،وفي هذه المرحلة دخلت البعثات التبشيرية أراضي الإيبو، ولكنها لم تستطع تحقيق أي نجاح إلا القليل في هذه المرحلة، فكانت وثنية هذه القبيلة في تمام عافيتها Intact لا تنتهك، ولذا لم تستطع هذه البعثات منذ بدء نشاطها سنة ١٨٥٧م وعلي مدار نصف قرن تقريباً أن تخترق أراضي الإيبو أو استكشافها حيث ظلت مدينة أونيتشا هي المقر الوحيد لنشاط هذه البعثات.

وكانت البعثات التبشيرية في هذه الأونه تعمل دون أي دعم من الحكومة الاستعمارية، لكنها كانت تلقي دعما محدودا من بعض الشركات التجارية التي كانت تعمل في نهر النيجر آنذاك، مما ساعد علي حدوث نوع من التوسع المحدود لهذه البعثات آنذاك في بعض المناطق التي توجد حول نهر النيجر(١)

وظل مجتمع الإيبو مجتمعا مغلقا - closed society ومحتفظا بتماسكه بما لديه من تقاليد قوية كان من شأنها حمايته من أي مؤثرات خارجية حتي سنة ١٩٠٠م (٢)

وطوال هذه الفترة لم يعتنق المسيحية أي فرد من أبناء الإيبو آنذاك سوي بعض الفئات التي ينظر إليها علي أنها فئات منحطة ومنبوذة في هذه القبيلة، ولم يعتنق أي من زعماء الإيبو الدين المسيحي آنذاك سوي زعيم واحد هو «صموئيل إدوجو»- Samuel Idogo زعيم أوجيلري Oguleuri

٢- مرحلة الاستعمار

غير الاستعمار من وضع المسيحية في أراضي الإيبو لأنه غير اتجاهات أبناء هذه القبيلة نحو الدين المسيحي إلي الاحترام والتقدير، فبعد أن كان هذا الدين لا يناسب سوي المهمشين في مجتمع الإيبو، أصبح ميزة إجتماعية لمن يلقب به من أبناء هذه القبيلة.

ومن الأسباب الكامنة خلف هذا التحول في الاتجاه أن هناك من أقبل علي المسيحية خشية البطش ممن استعمر أراضيهم خاصة إذا ظل علي وثنيته، وهناك من أعتقد أنه سيجني الكثير من المنافع إذا ما اعتنق دين المستعمر، وهناك من أقبل علي المسيحية حماية له من بطش بعض الزعماء المكلفين .....الخ (٣)

ومع الاستعمار البريطاني لأراضي الإيبو سنة١٩٠٠م ظهر قدر كبير من التعاون المتبادل بين الاستعمار والبعثات التبشيرية (٤) ظهر في إزدياد نشاط وكفاءة هذه البعثات، لأن عملها أصبح أيسر من ذي قبل بفضل الاستعمار البريطاني لأراضي الإيبو وأصبح اختراق القري أمراً يسيراً وسهلاً (٥)

وبذلك يمكن القول بأنه منذ عام ١٩٠٠م بدأت الأشياء تتغير داخل أراضي الإيبو - فالبعثات التبشيرية سنة ١٨٦٠م كانت تعرف منطقتين فقط في أراضي الإيبو هما منطقة أونيتشا الواقعة في شرق نهر النيجر ومنطقة أسابا الواقعة غرب نهر النيجر ، التي تم التعرف عليهما بمساعدة الشركات التجارية العاملة في نهر النيجر آنذاك.

- أما في سنة ١٩١٠م أي بعد فرض الحماية البريطانية علي أراضي الإيبو بعشر سنوات فقط استطاعت هذه البعثات اختراق أراضي الإيبو شمالا وجنوبا وشرقا ، فأصبحت المناطق المعروفة من قبل البعثات التبشيرية مناطق عديدة منها: مناطق أودي -Udi، أواكا- Awaka في الشمال ومناطق أويري وإجبو Egbu في

الجنوب ومنطقة أروتشوكوا في أقصي شرق أراضي الإيبو بالإضافة إلي منطقة نهر كروس.
- عدد المراكز التبشيرية الموجودة سنة ١٨٧٥م في أراضي الإيبو مركزان فقط، وفي سنة١٩٠٠م أصبحوا سبعة مراكـز تبشيـرية، في حين بلغ هذا الـعـدد إلي ثمانية وعشرين مركزا تبشيريا سنة ١٩٢٥م (٦).
- في عام ١٨٧٥م لم يكن هناك سوي بعثة تبشيرية واحدة في أراضي الإيبو وهي جمعية الكنيسة التبشيرية C.M.S. والتي استقرت في مدينة أونيتشا في تلك الفترة، أما في سنة ١٩٠٠م فكانت البعثة الكاثولوكية الرومانية دخلت هي الأخري أراضي الإيبو في مدينة أونيتشا، مما أدي إلي زيادة عدد المراكز التبشيرية زيادة محدودة

وفي سنة ١٩٢٥م كانت هاتان البعثتان - وما تبعهم من بعثات تبشيرية أخري - قد تمكنوا من اختراق أراضي الإيبو شمالا وجنوبا وشرقا وغربا بفضل الاستعمار البريطاني لهذه القبيلة.

فالعلاقة بين البعثات التبشيرية والاستعمار في أراضي الإيبو لم تكن علاقة أحادية النفع، بل كان الاستعمار مستفيداً هو الآخر من البعثات التبشيرية التي أتاح لها الانتشار في مختلف ربوع أراضي الإيبو

ويمكن توضيح ذلك علي النحو التالي:
- التسهيلات التي يقدمها الاستعمار للبعثات التبشيرية تشعره بأنه يؤدي واجبه المقدس تجاه السيد المسيح الذي قال « اذهبوا إلي العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها » « مرقس ١٦:١٥»
- يهدف الاستعمار إلي خلق آليات للسيطرة الثقافية تتمثل في فرض اللغة الإنجليزية علي الأهالي، وكذلك التعليم الغربي والدين المسيحي والقانون والسلوك الغربي بشكل عام (٧)
- ولتحقيق هذا الهدف فالاستعمار في حاجة دائمة إلي كل جهد ودعم من شأنه المضي فـي الاتجـاه الايجابـي لتحقيق هـذا الهـدف، وكانـت البعثات التبشيرية خير معين لذلك سواء في تعليم اللغة الانجليزية والتعليم الغربي أم في نشر الدين المسيحي.
فالمبشرون الذين أتوا إلي أفريقيا جاءوا حاملين الدين المسيحي في أحد أيديهم، والثقافة الغربية في اليد الأخري، (٨)

وذلك ليس غريبا لأنهم أبناء هذه الثقافة والتي كان يغلب عليها إبان القرن التاسع عشر النزعة التطورية في النواحي الفكرية، ومن ثم كان من الطبيعي أن ينقلو معهم ثقافتهم التي يعتبرونها في قمة السلم الحضاري للتطور الإنساني، في حين تعتبر ثقافات الأفارقة ودياناتهم في قاع السلم التطوري وفقا للمنظور التطوري.

وعلي هذا الأساس فإن الإطار النظري والمرجعي للمبشرين والخاص بعملية التحول الديني - اعتناق المسيحية - للأفراد يرجع في النهاية إلي النظرية الكلية للتغير الاجتماعي whole theory of social change (٩)

ويبدو أن السبب في ذلك هو اعتقاد المبشرين أن ثقافة الأفارقة في غالبية جوانبها غير منسجمة مع تعاليم السيد المسيح.
ولذلك ساهمت البعثات التبشيرية إلي حد كبير في دعم عملية تبني أساليب الحياة الأوربية، بالإضافة إلي الدين المسيحي والذي يعتبر عقيدة ذات نظرة كونية جديدة لا مكان فيها للأسلاف أو الآلهة الطبيعية (١٠)

.

٣- مرحلة ما بعد الاستعمار

دأب الاستعمار طوال وجوده في مستعمراته علي طمس الهوية الإثنية للسكان الأصليين، وغرس هويته هو لترسيخ أقدامه في هذه المستعمرات، مستخدما في ذلك كل ما لديه من وسائل وأساليب، والتي كان من إحداها تهميش كل ما هو إفريقي وأصيل، إلي أن تكونت صورة ذهنية مشوهة عن ثقافة هذه المجتمعات لدي المجتمعات غير الافريقية ولكن هذه الصورة لم تكن مشتركة بين الغرب والأفارقة

فالغرب يري إفريقية بدائية primitive وتقليدية traditional ولفترات طويلة تطابقت الأدبيات الأنثروبولوجية والتبشيرية في تقديم الدين الأفريقي بأسلوب يجانبه الصواب واصفة إياه بأنه دين يحتوي معتقدات غير معقولة، تضرب بجذورها في السحر والفيتشية والأرواح والأسلاف وما إلي ذلك، في حين يري الأفارقة أنفسهم غير ذلك.
وكان لاختلاف الرؤي أثره في ظهور **حركة الاحياء الثقافي** في مرحلة ما بعد الاستعمار كرد فعل مباشر لهذا التهميش والتقليل والاستخفاف لكل ما هو إفريقي، وفي هذا الإحياء نادي بعض العلماء الأفارقة بضرورة استبدال النمط الغربي بالنمط الإفريقي كأسلوب حياة للوصول إلي مسيحية حقيقية في أفريقيا.

مؤكدين علي ضرورة أنه لابد من النظر للمسيحية بالعين الأفريقية وفهم عقائدها بالعقل الأفريقي، وكان من بين هؤلاء العلماء العالم مازوروا G.H.Muzorewa وهو عالم أفريقي من زيمبابوي Zimbabwe، والذي عرف الدين المسيحي بأنه «انعكاس للتجربة الإنسانية مع الإله وماذا يفعل الإله لهؤلاء الناس».

وأشار إلي أن التجربة الفردية تركز وبشكل أساسي علي أمرين: هما خبرة الفرد individual's experience والسياق الاجتماعي .

وكرد فعل لهذا الإحياء الثقافي كان أمام الأفارقة أحد خيارين: الأول هو الترك التام Abandonmient للمسيحية والثاني هو المسيحية المحلية indigenization of christianity لكن غالبية الأفارقة فضلوا الخيار الثاني، وأطلقوا علي ذلك أفريقانية المسيحية Africanization of christianity (١١)

ويمكن أن نرادف بين أفريقانية المسيحية وبما أطلق عليه ب « لاهوت التحرر Atheology of liberation » والذي انتشر في العديد من بلدان العالم الثالث، ومنها أفريقيا ..

حيث أخذ اللاهوتيون الأفارقة علي عاتقهم بناء هذا اللاهوت، الذي يتكيف مع مشكلاتهم الحقيقية التي يعانوا منها ، وأطلقوا علي ذلك اسم لاهوت التجسد the theology of incarnation والذي يعبر عن رسالة المسيحية في المجتمع الأفريقي وثقافته الخاصة به، والتركيز علي ضرورة إدخال الابعاد الثقافية والعرقية في الخطاب اللاهوتي دون إنكار أو سوء فهم للابعاد الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، والاستجابة لصرخة الرجل الأفريقي، ودعا بعض هؤلاء إلي ضرورة إدخال المعتقدات المحلية الإفريقية إلي بنية الكنيسة الإفريقية، ولاهوت التجسد مثل تعدد الزوجات ....الخ والتي تنظر إليها الارساليات المسيحية علي أنها عادات شيطانية وثنية (١٢)

ب - طبيعة الأفراد المراد تنصيرهم

ليس هناك اختلاف علي أن المسيحية جاءت لتعم كل البشر في كل مكان وزمان دون تمييز، لتخلصهم من حياتهم المادية، وترتقي بهم إلي ملكوت السماوات، وذلك وفقا لما جاء في الكتاب المقدس، وتحقيقا لهذا الغرض ركز التبشير الديني في أراضي الإيبو علي بعض الفئات التي تري في تنصيرهم أولا تيسيراً لما أتت لتحقيقه، نذكر من هذه الفئات الأتي:

١- التركيز علي الزعماء

يعد التركيز علي الزعماء في عملية التبشير الديني أمرا طبيعيا، وذلك باعتبارهم الوحيدين المناط بهم التحدث والتعامل مع الآخرين الذين لا ينتمون إلي القبيلة، وفي أيديهم السماح أو عدم السماح للمبشرين بالتعامل والتحدث إلي باقي أفراد القبيلة، ولهم الكلمة المسموعة والنهائية في وجود المبشرين علي أراضيهم أو مغادرتهم لها علي الفور .....الخ

ولذلك أتجه المبشرون في كثير من الأحيان إلي استمالة الملوك الأفريقيين، ومن هم في مقام الرياسة والزعامة كوسيلة فعالة لجر رعاياهم وأتباعهم دون جهد أو مشقة إلي اعتناق المسيحية (١٣)

فعلي سبيل المثال نجد أن التجار البرتغاليين كونوا علاقات مع « ملك -Oba» بنيين التي توجد في النصف الغربي لمنطقة نيجيريا أصبحت حاليا عاصمة ولاية إيدوا- Edo state» هذا الاتصال فتح الباب أمام نشاط بعثة سباسمودك spasmodic ، والتي بدأت عملها في بنين عام ١٥٥١م، في ذات الوقت الذي كانت تقيم فيه البعثة الكاثولوكية مدرسة في قصر أوبا Oba's palace - القصر الملكي - لتعليم الأبناء الموجودين في القصر ولتعليم أبناء الصفوة الذين اعتنقوا المسيحية (١٤)

وفي أراضي الإيبو كانت تعبر البعثات التبشيرية دائما عن سعادتها للتعاون فيما بينها وبين زعماء الإيبو خاصة، حينما دعي هؤلاء الزعماء تلك البعثات لزيارة قراهم ومدنهم، أو حينما أبدوا استعدادهم للاهتمام والاعتناء بخدمة الكنيسة ومعاونة البعثات التبشيرية، أو حينما أبدوا استعدادهم للتنصير واعتناق المسيحية، لكن سرعان ما تغير هذا الشعور إلي غضب وضجر تجاه هؤلاء الزعماء نتيجة ارتدادهم عن المسيحية وعودتهم إلي عاداتهم الوثنية.

ولهذا يمكن القول بأن البعثات التبشيرية حققت نجاحا جزئيا في استمالة زعماء الإيبو نحو الديانة المسيحية (١٥)

٢- التركيز علي المهمشين في مجتمع الإيبو

استقبل الإيبو الدين الجديد «المسيحية» استقبالا يتسم بالشك والريبة خاصة في بادئ الأمر، فكان ينظر لمعتنقي هذا الدين نظرة اشمئزاز وكراهية، لأنهم نظروا للمسيحية علي أنها دين أحط وأدني من دينهم التقليدي المحلي، وكان العبيد slaves والمنبوذون out-cast هم أول من أعتنق المسيحية في أراضي الإيبو (١٦)

ففي سنة ١٨٩٠ كان يقدر عدد المسيحيين في مدينة أونيتشا بحوالي ٤٠٠مسيحي في تلك المدينة التي وصل عدد سكانها آنذاك إلي أكثر من ١٠٫٠٠٠نسمة، وكان حوالي ١٠٪ من ٤٠٠مسيحي هم فقط من السكان الأصليين في هذه المدينة، أما النسبة الباقية فكانوا من التجار القادمين من سيراليون ومن العبيد الأحرار freed slaves، وكذلك الأمر في مدينة أسابا Asaba التي وصل عدد سكانها آنذاك إلي حوالي ١٦٫٠٠٠نسمة كان يقدر عدد المسيحين فيها حوالي ٣٠٠مسيحي، كان معظمهم من العبيد الأحرار في قري متفرقة (١٧)

ويعد هذا أمرا طبيعيا -إقبال المهمشين لاعتناق المسيحية- لأن المهمشين في أي مجتمع من المجتمعات يعانون قدرا من الاضطهاد وعدم المساواة في الحقوق مع باقي أعضاء المجتمع، وأتت المسيحية لتحقيق هذه المساواة الغائبة بين البشر، ففي رسالة بولس إلي أهل غلاطية « ٢٨:٢٦:٣ » « لأنكم جميعا أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع لأن كلكم الذين أعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح ليس يهودياً ولا يونانياً ليس عبداً ولا حراً ليس ذكرا أو أنثي لأنكم جميعا واحد في المسيح يسوع».
كما أن المسيح يقف بجانب المضطهدين لكي يحررهم من الجوع والتعاسة والاضطهاد، فالمسيح في حياته وصراعه مع الأعداء حتي صلبه يمثل نموذجا للمعاناة مع المقهورين(١٨)

ويقول المسيح «طوبي للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السموات، طوبي للحزاني لأنهم يتعزون، طوبي للودعاء لأنهم يرثون الأرض، طوبي للجياع والعطاشي إلي البر لأنهم يشبعون طوبي للرحماء لأنهم يرحمون، طوبي لأنقياء القلب، لأنهم يعاينون الله، طوبي لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون طوبي للمطرودين من أجل البر لأن لهم ملكوت السموات» متي « ٥: ٣:١٠».

وبالتالي يصبح من اليسير علي البعثات التبشيرية استمالة هؤلاء العبيد والمنبوذين وغيرهم مـن المهمشـين في أراضي الإيبو ، لأنه يتوقع أن يكونوا أكثر الفئات استجابة لهذه الدعوات التبشيرية، وذلك لأن الخطاب التبشيري يلقي صدي في نفوس هؤلاء الأفراد.

٣- التركيز علي صغار السن

من أهم السمات التي ميزت حركة التبشير الديني في أراضي الإيبو هو التركيز علي نشر المسيحية بين صفوف الأطفال داخل هذه القبيلة معتمدين علي التعليم لتحقيق هذا الغرض، وما ساعدهم علي ذلك الرغبة القوية داخل أبناء الإيبو علي التعلم... وكان من بين الأشياء المحيرة للبعثات التبشيرية إلحاح كبار السن ورغبتهم القوية في إلحاق أبنائهم بالمدارس رغم أنه كان متوقعا أن يكون كبار السن من آكثر أفراد الإيبو تحفظا علي تعليم الأطفال وذلك للحفاظ علي مكانتهم داخل المجتمع.

وكان نمط التعليم - التعليم الغربي الذي جاءت به البعثات التبشيرية وساعدها فيه الاستعمار البريطاني- في أراضي الإيبو من أهم آليات التغير الاجتماعي social change هناك (١٩)

لدرجة أنه أصبح من بين جنبات العمل الحديث للبعثات التبشيرية المسيحية في أفريقيا العمل علي خلق صفوة جديدة - The making of a new elite بغرض أن تقوم هذه الطبقة بمهمة نشر الإنجيل داخل مجتمعاتها (٢٠)

ويعد التعليم من أهم مقومات خلق هذه الصفوة، ولا يأتي التعليم بثمارة إلا إذا اعتاد متلقوه عليه منذ الصغر، يضاف لذلك أن الأطفال في هذا السن لم يكونوا قد ترسخوا في اعتناق الوثنية ، ومن ثم يسهل استمالتهم لهذا الدين ولذا كان التركيز علي صغار السن من ضروريات العمل التبشيري داخل أراضي الإيبو.

جـ - كيفية نشر المسيحية فى أراضى الإيبو

يمر العمل التبشيري في أراضي الإيبو بالعديد من المراحل والتي من شأنها في النهاية تحقيق الغرض المراد بها وهو تنصير كل من لا يدين بالمسيحية ، ويمكن أن

نتناول هذه المراحل علي النحو التالي

١- العمل علي خلق روابط حميمية بين المنصر والأفراد المراد تنصيرهم.

من المعروف أن المنصر - المبشر - يعمل في أغلب الأحيان في غير بيئته ومن ثم يتعرض لثقافات وأفكار ومذاهب ومعتقدات شتي، كما يفرض ذلك عليه أيضا أن يتعامل مع أفراد كثيرين، منهم من يتقبله ومنهم من يرفضه، ومن ثم عليه أن يستميل من يتقبله ليدافع عنه عند من يرفضه، ويحاول خلق روابط حميمية مع أؤلئك الأفراد الذين يرفضون بقائه أو عمله الذي يقوم به داخل مجتمعهم، ليستمر في هذا العمل لإيصال رسالته وتحقيق غرضه.

ولذلك كانت إحدي نصائح قداسة البابا شنودة الثالث « نيافة الأنبا شنودة أسقف التعليم سنة ١٩٦٦م » إلي المبشر « نيافة الأنبا أنطونيوس مرقس أسقف عام شئون إفريقيا حاليا» قبل سفره للتبشير في أثيوبيا « أسمع كثيرا وانظر كثيرا أولا، قبل أن تعلن رأيا أو تتكلم، كون فكرك أولا عن الناس وفكرهم قبل أن تقول شيئا، لئلا يكون ما تقوله لا يناسب عاداتهم ولا معتقداتهم فيرفضوك » (٢١)
وتوجد وسيلتان يسيران جنبا إلي جنب في كثير من الأحيان لخلق هذه الروابط الحميمية هما:
أ - الاستمالة الوجدانية. ب - العطاء المادي.

أ- الاستمالة الوجدانية

من المعروف أن العمل التبشيري يتخاطب في الأساس مع القلوب قبل العقول، ومن ثم تعد الاستمالة الوجدانية إحدي أساسيات خلق جسور من الثقة والروابط الحميمية، ولذلك يحرص كل من يقومون بالعمل التبشيري علي أن يتجنبوا في سلوكياتهم كل ما يغضب أفراد المجتمع المراد تنصيره، مؤكدين في كل حين أن هذه السلوكيات الحميدة هي سلوكيات كل مسيحي حق، يحب المسيح ويبغي اتباعه،

فالمسيح يدعو إلي الأخلاقيات الحسنة والسلوك القويم ويدعو إلي الحق وترك الظلم ...الخ، ومؤكدين علي أن كل البشر من كل سلالة وعرق يجب أن ينظر إليهم، ويتم تقبلهم علي اعتبار أنهم أعضاء في تلك العائلة البشرية.

أو بمعني آخر ضرورة النظر إلي الإنسان كقيمة في ذاته كإنسان، وبالتالي التأكيد علي مبدأ تقبل الآخر (٢٢)

لأن هذا المبدأ يعمل علي تقليل تأثير الفوارق بين البشر، ومن ثم سهولة التخاطب مع هذا الأخر مما يتيح فرصة قوية لاستمالته.

ب- العطــاء المادي

يجمع المبشرون علي أن جميع الوسائل - مهما كانت- يجب أن تستغل في سبيل التبشير حتي أعمال البر يجب أن تستغل استغلالا بحتا لهذا الغرض ، لذا يعتقدون أن التطبيب والتعليم من وسائل التبشير ويجب أن يبقيا كذلك.

أما أعمال الإحسان فيجب أن تستعمل بحكمة كيلا تذهب في غير سبيلها، يجب أن تعطي الاموال أولا للبعداء عن الكنيسة ثم تقل تدريجيا كلما اقترب أؤلئك من الدخول في الكنيسة «اعتناق مذهبها» فإذا دخلوها منع عنهم الإحسان مرة واحدة (٢٣)

ويتمثل العطاء المادي في كل الخدمات التي يقدمها العمل التبشيري لأفراد المجتمع المراد تنصيرهم سواء خدمات تعليمية أو صحية أو اجتماعية ...الخ، حريصين علي التأكيد دائما علي أن العطاء ليس من أنفسهم بل من يسوع المسيح، وأن الشكر يجب أن يقدم لصاحبه وهو المسيح يسوع وليس لهم، ويجب أن يتمثل هذا الشكر في اتباع المسيح والذي يقول « من لا يأخذ صليبه ويتبعني فلا يستحقني» متي «١٠: ٣٨» . وبالتالي يظهر هذا العطاء المادي علي أنه عطاء بلا مقابل.

٢- تقديم الأساسيات العقائدية للديانة المسيحية

تبدأ هذه المرحلة بعد الأولي والتي كانت وظيفتها خلق روابط حميمية بين المنصر والمراد تنصيرهم بالإضافة إلي خلق العديد من التساؤلات وعلامات الاستفهام حول الديانة الجديدة، مثل من هو السيد المسيح؟ وهل تختلف هذه الديانة عن الديانة التقليدية؟ ....الخ، فهي مرحلة تعمل علي تهيئة المناخ للبدء في المرحلة الثانية، والتي يتم التعريف فيها بالديانة الجديدة بالسيد المسيح ....الخ، لأن الهدف الأساسي لدي البعثات التبشيرية هو التعريف بالإله أينما كان غير معروف unknown (٢٤)

وتعد هذه المرحلة من أصعب مراحل التبشير، لأنها قد تستقطب الكثيرين للدين الجديد ، وقد تحدث نفورا وعداء من قبل أعضاء المجتمع لهذه الديانة الجديدة في

مجتمعهم، ولذلك يحرص أغلبية القائمين بالعمل التنصيري في كثير من الأحيان البدء بالأساسيات العقائدية التي ليس عليها إختلاف، ولا تتعارض كثيرا مع أساسيات العقيدة التقليدية والتي تسمح ثقافة المجتمع بإضافتها دون جدل أو تشكك أو عدم قبول لها، ثم يأتي بعد ذلك التشكيك في بعض الأحيان في أساسيات العقيدة التقليدية، وذلك بطرح تساؤلات من شأنها خلق نوع من الحيرة في أذهان معتنقي الدين التقليدي ثم تقديم إجابات لها وفق الديانة المسيحية.

والشئ المهم في هذه المرحلة والذي يجب أن يتسم به كل منصر هو أنه لا يقف موقف المهاجم والمعادي للدين التقليدي لكي لا يناصب معتنقي الدين التقليدي العداء، ويقفوا له موقف الدفاع عن دينهم بصرف النظر عن طبيعة هذا الدين أو ذاك

٣ -التردد علي الكنيسة

يسعي القائمون بالتنصير منذ دخولهم أي مجتمع ما إلي إنشاء كنيسة أو عدة كنائس تابعة لهم للقيام بطقوس وممارسات دينهم، ولكي يقوموا بتعليم كل من دخل في المسيحية طقوس وممارسات هذا الدين، فللكنيسة دورها الكبير في الديانة المسيحية، ولعل هذا واضحا في كم الكنائس التي أقامتها البعثات التبشيرية في أراضي الإيبو منذ أن وطأت أقدامها أراضي الإيبو . ففي سنة ١٩٣٠م كان لبعثة الكنيسة التبشيرية C.M.S. ثلاث كنائس تابعة لها في منطقة أونيتشا فقط، تتسع الواحدة فيهم لألف عضو(٢٥)

ويهدف التردد علي الكنيسة تحقيق العديد من الأغراض منها

- تثبيت العقيدة داخل قلوب وعقول معتنقي الديانة المسيحية خاصة الجدد منهم
- تعليم طقوس وممارسات الديانة الجديدة.
- خلق روابط اجتماعية جديدة يكون الدين المسيحي محورها الأساسي.
- العمل علي احتواء كل من يدين بهذه الديانة الجديدة كلما أمكن ذلك.

٤- الاعتماد علي الأبناء المحليين في نشر المسيحية لباقي أفراد مجتعهم.

ويتفق هذا التوجه - الاعتماد علي الأبناء المحليين في نشر المسيحية - مع المبدأ العام لمفهوم التبشير الذي يركز علي قيام الإرساليات بتنصير منطقة معينة وإنشاء كنيسة وطنية تؤول رعايتها تدريجيا للسكان الوطنيين دون مساعدات خارجية، يتبنون بدورهم مهام التبشير في المناطق التي لم يصل إليها التبشير(٢٦)

الهوامش

----

(١) D.V. Bersselaar: op. cit., p. 278.

(٢) B.Sundkler & C.steed: op. cit., p. 252.

(٣) E.A.Ayandele: Nigerian Historical studies, Frank cass, London, 1979, p. 172.

(٤) B.Sundkler & c.steed: op. cit., p. 252.

(٥) P.N. Domnwachukwu: op. cit., p. 99.

(٦) أحمد صقر نجم: مرجع سابق، ص ١٠٨.

(٧) ماجدة فتحى رفاعة: مرجع سابق، ص ٢٩٥.

(٨) D.V. Bersselaar: op. cit., p. 274.

(٩) T.O.Beidelman: social theory and the study of christian missions in Africa, Africa, Vol. XLIV. no. 3, 1974, p. 242.

(١٠) ماجدة فتحى رفاعة: مرجع سابق، ص ٢٩٣.

(١١) P.N.Domnwachukwu: op. cit., p.p. 143 - 146.

(١٢) أحمد محمد جاد عبد الرازق : لاهوت التحرير. الانجيل المسلح فى العالم الثالث، دار الثقافة العربية، القاهرة ، ١٩٩٨، ص ٧٤.

(١٣) نجوى عبد النبى شحاته: الاستعمار البريطانى فى نيجيريا، رسالة ماجستير «غير منشورة»، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، ١٩٨٠، ص ١٩١.

(١٤) P.N. Domnwachukwu: op. cit., p65.

(١٥) D.V. Bersselaar: op. cit., p.p. 278- 279.

(١٦) P.N. Domnwachukwu: op. cit., p98.

(١٧) D.V. Bersselaar: op. cit., p. 279.

(١٨) أحمد محمد جاد عبد الرازق: مرجع سابق، ص ١٨٧.

(١٩) E.A. Ayandele: op. cit., p. 178.

(٢٠) C.G. Baeta: op. cit., p. 16.

(٢١) انطونيوس مرقس: اعبر الينا. واعتًا. قصة الكنيسة القبطية فى افريقيا فى عصرنا الحاضر، «الكتاب الأول»، الناشر اسقفية شئون أفريقيا، القاهرة، ١٩٩٣، ص١٠.

(٢٢) Theophilus okere: Identity and change. Nigerian philosophical (studies, The council for research in values and philosophy, library of congress, 1996, p. 167.

(٢٣) مصطفى خالد & عمر فروخ: مرجع سابق، ص ٤٨.

(٢٤) C.G. Baeta: op. cit., p. 13.

(٢٥) P.B. clark: op. cit., p. 101.

(٢٦) إبراهيم عكاشة على: مرجع سابق، ص ٧.

الفصل الثامن

طبيعة التحول الديني في أراضي الإيبو

مما لاشك فيه أن هناك قدراً من التغير الديني « التحول من الديانة التقليدية إلي الديانة المسيحية » حدث في أراضي الإيبو، بدأ منذ دخول المسيحية لأراضي الإيبو من خلال البعثات التبشيرية بل وفيما قبلها علي يد التجار والرحالة الأوربيين خاصة البرتغاليين، وذلك منذ اكتشاف السواحل الغربية لأفريقيا، واستمر هذا التحول ووصل أقصاه في فترة الاستعمار، واستمر فيما بعد الاستعمار ومازال مستمرا حتي الآن وسيستمر في المستقبل طالما كان هناك دعاة لذلك.

ويلاحظ أنه إذا كان هذا التحول يمثل أهمية خاصة في جوانبه الكمية فالجوانب الكيفية هي الأكثر أهمية، وذلك لأنها هي الأقدر علي تشكيل طبيعة وشكل هذا التحول.

ويمكن وصف التحول الديني في أراضي الإيبو بأنه تحول توافقي مع العوامل التي طرأت علي هذا المجتمع كالاستعمار البريطاني لأراضيه. فالإيبو توصف بأنها من الشعوب التي لديها قدرة كبيرة علي التكيف (١)

ومن مظاهر هذا التكيف أن الإيبو أطلقوا علي أبنائهم أسماء مسيحية ليتمكنوا من الالتحاق بالمدارس التابعة للبعثات التبشيرية، وبذلك أصبح للكثير منهم أسماء قبلية ينادي بها داخل القبيلة وأسماء مسيحية ينادون بها في المدارس .....الخ.

ويتفق هذا مع كتابات أخري تناولت مجتمع الإيبو بالدراسة والتحليل في أعقاب انتهاء الاستعمار البريطاني لأراضي الإيبو، تشير إلي أن مجتمع الإيبو من المجتمعات التي تؤكد وبشكل كبير علي الانجازات الفردية وعلي أن التغيير يعد ضرورة لتحقيق أهدافهم (٢)

ويضيف البعض الآخر بأن الكثيرين من أفراد الإيبو اعتنقوا النصرانية دون أن يتخلوا عن جميع معتقداتهم الدينية التقليدية (٣)

وفي دراسة أجريت عن المسيحية في أراضي الإيبو « في منطقة أويري » **أشارت إلي الأتي**

أولا: استجابة الأفراد الذين أجريت عليهم الدراسة لأسئلة الدراسة قد اختلفت من فرد لآخر، بل إنه لا يوجد ثمة اتفاق بين الأفراد حتي أولئك المنتمين لكنيسة واحدة، علي

الرغم من كون الأسئلة التي وجهت إليهم تتعلق بالمذهب الذي ينتمون إليه.

ثانيا: كانت من بين نتائج الدراسة أن نسبة ٦٨٪ من مجموع العينة التي أجريت عليهم الدراسة علي يقين بأن معظم المسيحيين من الإيبو والمترددين علي الكنيسة لا يدركون من هو المسيحي ؟ أو ماذا يعني أن تكون مسيحياً؟ What it means to be Christian? في حين أن نسبة ٣٠٪ من مجموع العينة هم الذين يعتقدون في أن المترددين علي الكنيسة من الإيبو علي معرفة بمن هو المسيح أما النسبة المتبقية فلم يكن لديها تعليق علي ذلك.

ثالثا: كانت من نتائج الدراسة خاصة حول الآثار الناجمة عن إدخال جزء من ثقافة الإيبو إلي الكنيسة، أن نسبة ٥٨٪ من العينة أشارت إلي أن ذلك يؤدي إلي تأثيرات سلبية علي جوهر الإيمان المسيحي، في يحين أن ٤٠٪ من العينة تري أنه لا يؤثر علي الإيمان المسيحي، والنسبة المتبقية لم يكن لديها تعليق علي ذلك.

وتعكس نتائج هذه الدراسة مدي السطحية في اعتناق المسيحية، فالفرد في أراضي الإيبو حينما يغير اسمه إلي أحد الأسماء الموجودة في الكتاب المقدس أو إلي أحد الأسماء الإنجليزية، لا يعني ذلك بالضرورة أنه قد تحول إلي المسيحية، لأن ذلك قد يكون نوعا من أنواع التوافق أو التكيف أو التودد لمن يعتنق هذا الدين سواء من المستعمرين أم من البعثات التبشيرية، للحصول علي بعض الخدمات أو للخوف أو للحماية .... الخ، وقد يكون تحولا حقيقيا ناجما عن اعتناق لهذه الديانة الجديدة، ومن ثم يعد من الضروري التحديد الدقيق لمفهوم النصراني أو المسيحي.

فكلمة نصراني كثيرا ما تكون غير مفهومة من قبل العديدين خاصة هؤلاء الأفراد الذيين يستخدمونها في أغلب الأحيان للإشارة إلي كل فرد يتردد علي الكنيسة، أما المعني الحقيقي لهذا المفهوم والموجود في الكتاب المقدس فيعني اتباع السيد المسيح والتغيير في أنماط حياتهم بما يتفق مع تعاليم السيد المسيح، وهو أمر غير موجود أو نادر وجوده في قبيلة الإيبو (٤)

ويمكن توضيح ذلك بشكل أكثر توضيحا من خلال بعض الأمثلة التي تعكس مدي استجابة أفراد الإيبو للتحول الديني الجديد في ظل هويتهم الإثنية التي ينتمون إليها وذلك علي النحو التالي:

أ- الرهبنة والعائلة في أراضي الإيبو

منذ نشأة الكنيسة كان اختيار البتولية والعفة من أجل الملكوت مكرما في الجماعات المسيحية (٥)

فعدم الزواج ووهبة الجسد و الروح لطاعة وخدمة السيد المسيح يعد من أحد القيم التي تفضلها المسيحية وتضعها موضع تقدير.

والمسيحية من الديانات التي عرفت الرهبنة أي الابتعاد عن العالم، إما تنسكا فرديا في خلايا خاصة قد تكون كهفا أو كوخا أو حتي أقل من ذلك أو انقطاعا جماعيا بحيث يكون كلا منهم في حجر خاص به، ثم يجتمعون في أوقات مقننة للمشاركة في الصلاة والعبادة أو حتي في أديرة أقيمت إما في المدن أو بعيدة عنها (٦)

وتعود الرهبنة في المسيحية إلي بداية الانتشار المسيحي خاصة مرحلة الاضطهاد المسيحي ، والتي كان المؤمنون المسيحيون فيها أمام ثلاثة إختيارات: إما الموت أو نكران المسيحية أو الهرب إلي البراري، ففضلوا الهرب، وسموا لذلك بالرهبانيين، وأصبح منهم الرهبان والراهبات، وتعود الكلمة في أساسها إلي الجذر اللغوي «رهب» والذي يفيد الخوف والقلق والرعب والهرب.

والرهبان في اللغة العربية معناها الخائف والمبالغ في الخوف، وقد أضيف إلي أحد معانيها فيما بعد من أعتزل الناس وذهب إلي دير طلبا للعبادة.
« والمبادئ الأساسية للرهبنة هي العزوبية والفقر والطاعة » (٧)

لكن هذه المبادئ تتناقض مع الهوية الإثنية للايبو.

فمبدأ العزوبية يتناقض في ذاته مع الطبيعة البشرية، ولهذا يتم الإعراض عنه، ويشير « أوشيندو » Uchendu إلي أن الإيبو يطلقون مصطلح Oke Okoporo علي الذكر البالغ غير المتزوج، وتعني في معناها «المرأة الذكر male woman » وهو مصطلح يستخدم للتحقير، ويطلق عبارة nweghi dio علي المرأة غير المتزوجة، والتي تعني أنها مرأة بلا زواج أي لم يتقدم أي رجل للزواج منها، وهو وصف للتحقير

ولذلك نجد أن مجتمع الإيبو مجتمع لا تحتوي مفرداته اللغوية علي مفهوم العزوبية concept of celibacy.
وعدم الإقبال علي الزواج في أراضي الإيبو لا يكون إلا لأسباب صحية أو لعوامل اقتصادية صعبة، غير أنه في مثل هذه الظروف الاقتصادية العصيبة التي قد

يعاني منها الشاب داخل قبيلة الإيبو قد لا تكون مانعاً للزواج لأن الشئ الغالب في هذه الأحوال هو قيام عائلة هذا الشاب Umunna بالمساهمة معه في نفقات الزواج ، وفي الحصول علي زوجة له لأنه من العار أن تجد شخص غير متزوج داخل عشيرة من عشائر الإيبو ،ولذلك يري مجتمع الإيبو في الرهبنة معارضة ومخالفة وعدم اتفاق مع القيم العائلية Family values ولذلك ترفض العائلات في أراضي الإيبو الرهبنة لأفرادها.

وكذلك الأمر بالنسبة لمبدأ الزهد «الفقر» Religious poverty فهو الآخر يتناقض مع المبادئ الاقتصادية والاجتماعية السائدة في مجتمع الإيبو والتي تدعو إلي الاكتفاء الذاتي self sustenance، ولذلك تنتشر بعض الأقوال في مجتمع الإيبو مثل Ina-enyemnri بمعني « وهل ستطعمني؟ »

فالفقر والعوز شئ دنئ وحقير في أراضي الإيبو، لأن الشخص المحتاج هو شخص لا يتمتع بكامل الحرية، هو شخص تابع لمن يعطيه ولهذا يعتبر الفقر من الرذائل والنقائص داخل هذه القبيلة ، ولذا يتعرض الشخص الذي يعيش علي العوز للكثير من السخرية والتهكم من قبل الآخرين (٨)

وبذلك تفتقد الرهبنة في أراضي الإيبو أهم مبدئين لها وهما مبدأ العزوبية ووهبة الجسد والروح للسيد المسيح ، مبدأ الفقر والزهد والتقشف الديني ووفقا لذلك يمكن القول بعدم وجود رهبنة في أراضيالإيبو، أو علي الأقل عدم وجود رهبنة حقيقية في ظل الهوية الإثنية لقبيلة الإيبو.

ب - الـــزواج

يعد الزواج من أهم الأسس لتكوين العائلة وإعمار الكون، ويعد ضرورة لتكوين علاقة شرعية بين الرجل والمرأة، لذلك تحث كل الديانات وكل المجتمعات علي الزواج وعلي أهميته في استمرار الاجتماع البشري، وإذا كان الاتفاق بين كل الديانات والمجتمعات علي ضرورة الزواج فالاختلاف فيما بينهم علي شكل وطبيعة هذا الزواج.

وإذا نظرنا إلي الديانة المسيحية نجد أن الغالبية العظمي من الكنائس المسيحية ترفض إقرار الزواج البوليجاني « تعدد الزوجات » بل إن بعضها يرفض الزواج فيما بين الطوائف المسيحية مع بعضها البعض، وذلك في حين يري الأفارقة أهمية عظيمة للزواج البوليجاني الذي يعضد نمط العائلة الممتدة (٩)

فالزواج البوليجاني عند الأفارقة عامة والإيبو خاصة لا يمثل أهمية أو ضرورة في ذاته، بل فيما يقدمه من وظائف والتي من أهمها كثرة الإنجاب والذي تنعكس أهميته في النواحي الاقتصادية وبالتالي علي المكانة الاجتماعية للفرد داخل مجتمعه. ويشير بعض الكتاب الأفارقة في هذا الصدد إلي أن المبشرين ألحوا علي الزنجي بأن يكتفي بزوجة واحدة، لكنهم في ذات الوقت لم يوضحوا له كيف يقتلع الحشائش من حقله.

ولهذا يري الأفارقة في ذلك تعارضاً مع النظم الاقتصادية التي تعتمد علي مساعدة الزوجات لأزواجهن في أعمال الحقل وغيرها من الأعمال، مما يؤكد ضرورة تعدد الزوجات في هذه المجتمعات (١٠)

يضاف لذلك أن المبشرين حينما ألحوا علي الأفريقي في ضرورة الاكتفاء بزوجة واحدة لم يقدموا له الأسباب المقنعة لذلك من منظوره هو للاكتفاء بزوجة واحدة. ومن ثم ظهرت إشكالية فيما تحث عليه البعثات التبشيرية والمسيحية عامة وبين ما تقتضيه حاجة هذه المجتمعات.

جـ - حفلات الزواج

تعد حفلات الزواج من ضروريات إتمام الزواج داخل أي مجتمع لأنه ينطوي علي العديد من الدلائل منها الفرحة والإعلان ....الخ، كما تعكس مظاهره العديد من الدلالات الأخري مثل المكانة الاقتصادية والاجتماعية ....الخ

ولكل مجتمع من المجتمعات مظاهره في الاحتفال بالمناسبات الهامة مثل الزواج وفقا لهويته الإثنية التي يتميز بها عن غيره من المجتمعات.

وإذا نظرنا إلي مجتمع الإيبو نجد أن معظم أفراد هذا المجتمع يأملون في أن يقيموا حفلات زواجهم علي النمطين التقليدي والمسيحي معا، ولكن الاحتفال التقليدي traditional ceremony هو الاحتفال الأساسي والملزم فلا يستطيع أي فرد من أفراد الإيبو أن يتجاهل أو يتخلي عن الإحتفال التقليدي للزواج، في حين أن الاحتفال المسيحي christian ceremany احتفال يشير إلي الغني والثروة عند الإيبو (١١)

د- قتــل التوأم

استأثر ميلاد التوائم بدلالات سحرية أو شعائرية خاصة لدي كثير من الحضارات المختلفة، وكانت بعض المجتمعات تذهب في تفسير طبيعتهم الخارقة إلي اعتبارهم خطرا ودنسا من ناحية، واعتبارهم أصحاب قوة خاصة ومقدسة من ناحية أخري

ويشبه البعض ميلاد التوائم رمزيا بأنها شبيهة بالمواليد عند الحيوان الذي قد يضع أكثر من مولود، في حين يضع الإنسان مولودا واحدا في العادة، أو في حالات أخري بأنه دليل علي حدوث تدخل روحي في عملية الحمل، وقد عرفت بعض المجتمعات التقليدية عملية قتل أحد التوأمين أو تركه وحيدا ليموت أو قتلهما معا أو تركهما معا، بينما تعمل مجتمعات أخري علي تكريمهما ومعاملتهما معاملة خاصة (١٢)

وإنجاب التوأم عند الإيبو أمر كريه لأنه يعتبر ضد معبوده الأرض، مما قد يعرض كلا الوالدين إلي بلاء «عقوبات» شديدة خاصة الأم والأطفال، ويشير كبار السن في أراضي الإيبو بأن إنجاب التوأم أمر مكروه بالنسبة لإلهة الأرض، ومن ثم يجب إستئصالها قبل أن تستشري في باقي أعضاء القبلية، وذلك في حين يعتبر قتل التوأم أمراً كريهاً وغير مرغوب فيه من قبل الديانة المسيحية.

ولهذا تم إجراء العديد من الحوارات والمجادلات حول هذا الأمر بين المسيحيين ومعتنقي الدين التقليدي، وترتب علي ذلك ظهور العديد من التساؤلات لعل من أهمها هل إنجاب التوأم هبة وعطية من الإله ؟ أم أنه سخط وغضب من أحد الآلهة مثل إلهة الأرض ؟

وفي الربع الأخير من القرن التاسع عشر أصبح غالبية الإيبو مترددين فيما يحملوه من أفكار حول هذه المسألة، فالبعض أصبح أكثر ميلا لهذا الاتجاه أو ذاك، وذلك حتي العقدين الأول والثاني من القرن العشرين إلي أن تم إحكام السيطرة الكلية علي أراضي الإيبو من قبل الاستعمار البريطاني (١٣)

ويمكن القول بأن هناك العديد من العوامل التي كان لها الفضل في القضاء علي هذه العادة، لعل من أهمها عامل التجربة، فالإيبو رأوا بأعينهم أن عدم قتل التوأم لم يلحق الأذي بهم أو بأزواجهن أو بالتوأم ذاته أو بالعشيرة، ومن ثم فما الحاجة للقيام بهذه العادة وما كان لهذه التجارب « إنقاذ التوأم من القتل » أن تحدث إلا في ظل الاستعمار.

ويضاف لما سبق الآثار الجانبية لإلغاء تجارة الرقيق والتي صدر قرار إلغائها من قبل الإمبراطورية البريطانية العظمي سنة ١٨٠٧م، حيث لم يعد هناك عبيدا كما كان في السابق، وبالتالي فليس من اليسير التضحية بهذا التوأم خاصة في ظل التأكد من أن عدم قتلهم لم يلحق بهم الأذي، بالإضافة لأنهم كانوا يقومون بطرد أم هذا التوأم، مما يمثل خسارة إقتصادية لهم أيضا.

كما كان للمسيحية دورها في القضاء علي هذه العادة، وذلك بما خلقته من شك وارتياب في عقول هؤلاء الأفراد تجاه بعض المعتقدات التقليدية.

هـ - تجسيد المسيح

التجسيد لفظ يدل علي اتحاد اقنوم كلمة الله بالطبيعة البشرية، وهو اتحاد فريد في نوعه عجيب في تحقيقه، وأصل هذا اللفظ يرجع إلي نص القديس يوحنا الوارد في مقدمة إنجيله حيث جاء « الكلمة صارت جسدا» ووفقا للأدبيات المسيحية فإنها تشير إلي أن غاية التجسيد الأساسية هي فداء الجنس البشري، وقد جاء في قانون « نيقية القسطنطينية» « نؤمن ..بأن الله الذي جاء من أجلنا ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومن العذراء مريم وصار إنسانا» (١٤)

ولذلك تعد نظرية التجسيد من أساسيات الإيمان الإلهي في الديانة المسيحية لأنها تنطوي في الأساس علي فهم مفهوم الإله في الديانة المسيحية ، والذي يتركز في الأساس علي عقيدة التثليث « الثلاثة في واحد» وهي الإله الآب God The Father، والإله الابن God Son والروح القدس God The Holy spirit (١٥)

وبصرف النظر عن مفهوم المسيحية عن الإله، وعما تعرضه من نظريات خاصة بالتجسيد الالهي، فالشئ الجدير بالملاحظة هو أن موضوع التجسيد في المسيحية من الموضوعات التي يحيطها عدم إدراك وسوء فهم misunderstanding من قبل غالبية أفراد الإيبو (١٦)

وبالتالي يمكن القول بأن التحول الديني لغالبية أفراد الإيبو لا يرتكز علي فهم واضح وصحيح للطبيعة الإلهية ولمفهوم الإله في المسيحية، وأعتقد أن هذا يعد استجابة طبيعية لعدم إتفاق المذاهب المسيحية ذاتها علي طبيعة التجسيد الإلهي.

فالمسيحيون أنفسهم أختلفوا حول تجسيد المسيح وألوهيته رغم الاعتقاد العام بأن الله نزل من سمائه وظهر في جسد إنسان ليفدي البشر من الخطيئة ويحمل عنهم آلامهم، حيث تشعبت الأراء حول تصوير تجسيد المسيح وتضاربت، فقال البعض:

إن المسيح إنسان عادي وقال آخرون إن المسيح نزل في جسم خيالي من السماء، ومر في بطن مريم العذراء، ولذلك اندفع البعض ينادون بعبادة مريم العذراء، ويقولون أن فيها شيئا من اللاهوت إثر حلول الروح القدس عليها وتجسد الكلمة فيها. وهناك بعض الآراء الأخري التي تقول بفصل طبيعته اللاهوتية عن الناسوتية. والذي نادي بهذا الرأي هو نسطور بطريرك القسطنطينية في القرن الخامس.

وهناك رأيان أخران حول تجسيد المسيح وألوهيته أحدهما ما يقول به الكاثوليك باتحاد طبيعتي المسيح لفظا وفصلهما فعلا، وأخذت بهذا الرأي الكنائس اليونانية والبروتستانتية في حين يقول الأرثوذكس باتحاد طبيعية المسيح لفظا وفعلا (١٧)

الهوامش

----

(١) P.N. Domnwachukwu: op. cit, p. 163.

(٢) V.C. uchendu: op. cit., p.p. 103 - 104.

(٣) وليم باسكوم & ملفيل هيرسكوفتز: مرجع سابق، ص ٢٨٣.

(٤) P.N. Domnwachukwu: op. cit., p.p. 101, 109, 110- 163.

(٥) موسوعة الأديان فى العالم، «جزء المسيحية» داركريبسى انترناشيونال، لم يذكر بلد النشر، ٢٠٠٠، ص ٦٤.

(٦) نقولا زيادة: المسـيحية والعرب، قدمس للنشر والتوزيع، دمشق، ط٢، ٢٠٠٠، ص ١٧٧.

(٧) طونى مفرج: مرجع سابق، ص ١٣١.

(٨) M.C. onyejekwe: christian consecrated life in sub- saharan Africa. (past and present challenges, Social compass, Vol. 48, No. 4, 2001 p.p. 580 - 583.

(٩) Theophilus okere: op .cit., p. 168.

(١٠) محمد عبد المنعم يونس: مرجع سابق، ص ٢٢١.

(١١) Smlth, D.J.: Romance, Parenthood and Gender in amodern African Society, Ethnology, Vol.40, issue 2, spring 2001, p. 129.

(١٢) شارلوت سيمورسميث: مرجع سابق ، ص ٣٠٣.

(١٣) Bastian, misty: The Demon superstion. Abominable Twins and (mission culture in Onitsha history, Ethnology, vol. 40, issui I, winter 2001, p. 3.

(١٤) الأب فرنسيس حزبيه: التجسيد، «ترجمة» الأب لويس أبادير، منشورات معهد المعادى، القاهرة، ١٩٦٢، ص ص ، ١١، ١٤.

(١٥) Kalu Ogbaa: op. cit., p. 128.

(١٦) P.N. Domnwachukwu: op. cit., p. 164.

(١٧) سليمان مظهر: قصة العقائد بين السماء والأرض، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٢، ص ص ٣٧٩ – ٣٨٢.

المراجع العربية والأجنبية

أولاً : المراجع العربية

(١) أحمد صقر سيد نجم: الحركة الوطنية فى نيجيريا ١٩١٤-١٩٦٠م ، رسالة ماجستير، «غير منشورة» معهد البحوث والدراسات الافريقية، جامعة القاهرة، ١٩٨٣م.

(٢) أحمد محمد جاد عبدالرازق: لاهوت التحرير. الانجيل المسلح فى العالم الثالث، دار الثقافة العربية، القاهرة، ١٩٩٨م.

(٣) الأب فرنسيس خريبة: التجسد ، «ترجمة» الأب لويس أبادير، منشورات معهد المعادى، القاهرة، ١٩٦٢م.

(٤) أنطونيوس مرقس: اعبر الينا واعنّا. قصة الكنيسة القبطية فى أفريقيا فى عصرنا الحاضر، الكتاب الأول، أسقفية شئون أفريقيا، القاهرة، ١٩٩٣م.

(٥) إبراهيم عبد السيد: الفروق العقائدية بين المذاهب المسيحية وطائفتى الأدفنتيست السبتيين وشهود يهوه، مطبعة الأنبا رويس، القاهرة، ط٨، ١٩٨٦م.

(٦) إبراهيم عكاشة على: حركة التبشير الدينى فى جنوب السودان ١٨٩٩-١٩٤٧م، رسالة دكتوراه، «غير منشورة»، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٨م.

(٧) إبراهيم عثمان: مقدمة فى علم الاجتماع، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمّان، ١٩٩٩

(٨) جاك مندلسون: الرب والله وجوجو. الأديان فى أفريقية المعاصرة «ترجمة» أسعد محمد، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٧١م.

(٩) حيدر إبراهيم على: الاسس الاجتماعية للظاهرة الدينية. ملاحظات فى علم الاجتماع الدينى «ندوة» الدين والمجتمع فى الوطن العربى، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٠

(١٠) حورية توفيق مجاهد: الاسلام فى أفريقيا وواقع المسيحية والديانة التقليدية، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ٢٠٠٢م.

(١١) حسين على حمد: قاموس المذاهب والأديان، دار الجبل، بيروت، ١٩٩٨

(١٢) خليل ادّه اليسوعى: ما هى الكنيسة واين هى ؟ ، المطبعة الكاثولوكية، بيروت، ، ١٩٣٧

(١٣) سعاد على شعبان: الأنثروبولوجيا الثقافية لأفريقيا، معهد البحوث والدراسات الافريقية، جامعة القاهرة، ١٩٨٦م.

(١٤) سعاد على شعبان: الثقافة الأفريقية، «فى» الموسوعة الأفريقية، المجلد الرابع «الأنثروبولوجيا»، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ،جامعة القاهرة ،١٩٩٧

(١٥) سامية مصطفى الخشاب: دراسات فى علم الاجتماع الدينى، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٨م.

(١٦) سهام محمود عراقى: الاتجاه الدينى المعاصر لدى الشباب، مطبعة الجهاد، الاسكندرية، ١٩٨٤

(١٧) سليمان مظهر: قصة العقائد بين السماء والأرض، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٢

(١٨) شارلوت سيمور سميث: موسوعة علم الانسان. المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوچية، «ترجمة» مجموعة من أساتذة علم الاجتماع، المجلس الأعلى للثقافة ، المشروع القومى للترجمة، القاهرة، ١٩٩٨م.

(١٩) طونى مفرج: موسوعة المجتمعات الدينية فى الشرق الأوسط، المجلد الثانى «المسيحيون» نوبليس، بيروت، ط٢، ١٩٩٩م.

(٢٠) عبدالباقى الهرماسى: علم الاجتماع الدينى. المجال- المكاسب- التساؤلات، « فى» أعمال ندوة الدين والمجتمع فى الوطن العربى، دراسات الوحدة العربية، الجمعية العربية لعلم الاجتماع، بيروت، ١٩٩٠م.

(٢١) عادل على مصطفى: العلاقات القرابية فى أفريقيا. دارسة فى الانثروبولوجيا الاجتماعية « فى» الموسوعة الافريقية، المجلد الرابع، «الانثروبولوچيا»، معهد البحوث والدراسات الافريقية، جامعة القاهرة، ١٩٩٧م.

(٢٢) عبد الجليل شلبى: معركة التبشير والاسلام. حركات التبشير والاسلام فى أسيا وأفريقيا وأوربا، مؤسسة الخليج العربى، القاهرة، ١٩٨٩م.

(٢٣) فراس السواح: دين الإنسان . بحث فى ماهية الدين ومنشأ الدافع الدينى، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، دمشق، ط٣، ١٩٩٨م.

(٢٤) كرم شلبى: الاذاعات التنصيرية الموجهة إلى المسلمين العرب، مكتبة التراث الاسلامى، القاهرة، ١٩٩١م.

(٢٥) ماهر يونان عبد الله: الطوائف المسيحية فى مصر والعالم، مراجعة وتقديم القس جرجس صبحى، مطبعة المركز المصرى للطباعة، القاهرة، ٢٠٠١م.

(٢٦) محمد أحمد بيومى: علم الاجتماع الدينى، دار المعرفة الجامعية، الأسكندرية، ١٩٩٣

(٢٧) محمد عثمان الخشت: مدخل إلى فلسفة الدين، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠١م.

(٢٨) محمد عبد المنعم يونس: أفريقيا بين الاسترقاق والتحرر «سيراليون»، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨١م.

(٢٩) محمد عزت الطهطاوى: فى مقارنة الاديان. النصرانية والاسلام، مكتبة النور للطباعة والتوزيع، القاهرة، ط٢، ١٩٨٧م.

(٣٠) محمد الجوهرى: المدخل إلـى علم الاجتمـاع، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٤

(٣١) مصطفى خالد & عمر فروخ: التبشير والاستعمار فى البلاد العربية، عرض لجهود المبشرين التى ترمى إلى اخضاع الشرق للاستعمار الغربى، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، ط ٣، ١٩٨٦،

(٣٢) موسوعة الأديان فى العالم، جزء «المسيحية» دار كريس انترناشيونال، ٢٠٠٠م.

(٣٣) موريس بوكاى: القرآن الكريم والتوراة والانجيل والعلم. دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢م.

(٣٤) نازلى معوض أحمد يوسف: الحركة الانفصالية فى نيجيريا «قصة بيافرا» رسالة ماجيستير، «غير منشورة» كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، ١٩٧٤م.

(٣٥) نخبة من خدام الإنجيل: الكنيسة الحقيقة، مكتبة دير الدومينكان، القاهرة، ١٩٨٢م.

(٣٦) نجوى عبد النبى شحاته: الاستعمار البريطانى فى نيجيريا، رسالة ماجيستير، «غير منشورة» معهد البحوث والدراسات الافريقية، جامعة القاهرة، ١٩٩٤م.

(٣٧) نقولا زيادة: المسـيحية والعرب، قدمس للنشر والتوزيع، دمشق، ط٢، ٢٠٠٠

(٣٨) نهلة عبد العظيم إبراهيم: تطور الحركة الثقافية فى نيجيريا ١٩٠٠–١٩٦٠م. وأثرها فى تطور الحركة الوطنية، رسالة دكتوراه، «غير منشورة» معهد البحوث والدراسات الافريقية، جامعة القاهرة، ١٩٩٤م.

(٣٩) وليم باسكوم وملفيل هيرسكوفتز: الثقافة الافريقية. دراسة فى عناصر الاستمرار والتغير، ترجمة عبد الملك الناشف، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٦٦م.

ثانياً:المراجع الأجنبية

(١) Bastian, misty: The Demon superstition. abominable Twins and mission culture in Onitsha History, Ethnology, Vol.40, issue I, Winter 2001.

(٢) Fiona Bowie: The Anthropology of Religion., Blackwell publishers, malden, U.S.A., 2000.

(٣) C.G.Baeta: Christianity in tropical Africa, Oxford university press, London, 1965.

(٤) C.N.Ubah: the supreme being, divinities and ancestors in Igbo traditional religion. evidence from Otanchara and Otanzu, Africa, Vol. 52, no.2, 1982.

(٥) Encyclopedia of cultural Anthropology, Vol. 3, Henry Holt and company, New york, 1996.

(٦) E.A.Ayandele: Nigerian historical studies., frank cass, London, 1979.

(٧) E.C.Eze "ed": Philosophy. An anthology, Black well publishers, 1998.

(٨) The Encyclopeadia Americana international Edition, Vol.23, Grolier incorporated, 1995.

(٩) The Encyclopeadia of Religion, Vol.7, Macmillan publishing company, New york, 1987.

(١٠) M.C.Onukawa; The chi concept in Igbo gender naming, Africa, Vol. 70, No.1, 2000.

(١١) M.C. onyejekwe: christian consecrated life in sub- saharan Africa. ، past and present challenges, Social compass, Vol. 48, No. 4, 2001

(١٢) N.Ezumah & C.M. Didomenco: Enhancing the role of women in crop production. a case study of Igbo women in Nigeria., World Development, Vol. 23, No.10, 1995.

(١٣) O.C. Agukoronye: Landscape practices in traditional igbo society. Nigeria, Landscape research, Vol. 26, No.2, 2001.

(١٤) Peter B.clarke: West Africa and christianity, Edward Arnold, London, 1986.

(١٥) Smith, Daniel Jordan: Romance, parenthood and gender in a modern African society, E.thnology, Vol.40, Issue 2, spring 2001.

(١٦) T.O. Beidelman: Social theory and the study of christian missions in Africa, Africa, Vol. XIIV, No.3, 1974.

(١٧) Theophilus Okere: Identity and change. Nigerian philosophical studies I., the council for research in values and philosophy, library of congress, 1996.

(١٨) www.uib.no/hi/korieh/chima.html

(١٩) http://www.Uib.no/hi/korieh/chima.htm 5/11/2002

(٢٠) www.afrikaworld.net/afrel/Igbo.

Marriage htm, 3/11/2002

(٢١) http://www.zyama. Com/Igbo/pics. 13/5/2004.

(٢٢) http://www.arttribal. Com/Igbo/B 369. htm. 12/5/2004.

(٢٣) http://www.wowessays.com/dbase/af 1 /nyv151. shtmi, 5/11/2002.

(٢٤) http://www.wowessays.com/dbase/afI/nyv151.shtmi,5/11/ 2002

(٢٥) http. // www. wowessays. com/dbase/af 1/nyv 151.

الدين من الموضوعات التي حازت اهتمام الكثيرين من العلماء والباحثين في مختلف فروع العلم والمعرفة , في محاوله منهم للتعرف علي طبيعة هذه الظاهرة وأهميتها في حياة الشعوب

ويتميز الدين بالتلاصق والتشابك مع الإطار الثقافي الكلي لأي مجتمع من المجتمعات شأنه في ذلك شأن الجوانب الثقافية الأخري , لأن الدين يفرض مجموعة من الأخلاقيات ويضع مجموعة من القيم والمعايير السلوكية , وينظم العلاقات الاجتماعية لمعتنقيه.

ومجتمع الإيبو من المجتمعات التي حدث بداخلها عملية تحول ديني من الدين التقليدي - الذي يقوم علي الإعتقاد في إله أعلي يسمي شوكوا بالإضافة لبعض الآلهة الطبيعية الأخري والأعتقاد في الأرواح الخيرة والشريرة وأرواح الأسلاف - إلي الديانة المسيحية نتيجة تضافر العديد من العوامل والمؤثرات الخارجية لعب الإستعمار البريطاني لأراضي الإيبو الدور الرئيسي فيها.



الناشر

أسرار الاسبوع